كتاب

١٠٠ عام من الحكمة

للمؤلف/ طه سيف الله

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للنشر والتوزيع

اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الكتاب	١٠٠ عام من الحكمة
اسم المؤلف	طه سيف الله
رقم الإيداع	(/ ٢٠١٨) بدار الكتب المصرية
الإخراج الصحفي	دار الأديب (إنجي خيري)
الغلاف	من تصميمات الدار

الإهـــداء

مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

المؤلف/ طه سيف الله

مقدمة

يقولون ان هذا الكتاب "مائة عام من الحكمة" بحلقاته الخمسين هو اعادة لأدب اللامعقول أو أدب العبث إلى مسرح الدنيا بعد اختفائه بعشرات السنين. ويقولون ان ذلك الكتاب صرخة كاتب مصري عربي شرقي. ولكني أراه شيئًا آخر. هذه الحلقات الخمسون التي بين يديك أخي القارئ وسيدتي القارئة هي رؤية رجل لدنيا الله.

هذه هي الدنيا. عشها معي ودعني أشاركك في تشكيلها من جديد.

فلنضع الأشياء في نصابها على الورق. فهنا – بين هذه السطور – سوف تحقق أحلامك وتتزوج صفية التي كنت تتمنى، وتصبحين يا سيدتي مضيفة طيران او وزيرة كما كنتِ تحلمين. والأهم أن الشاطر حسن سوف يتزوج بنت السلطان .. فلنعش معًا خمسين حلقة من حلقات "مائة عام من الحكمة".

طه سيف الله

كاتب عربي

الحلقة ١:

ونزل الشيخ السوق واخذني معه ..

****

قال ان بلاءكم ان حولتم حياتكم كلها سوقا .. حتي المحبة والزواج والطلاق والاخوة والأدب وووووو .. وابتسم وهو يقول ان نساءكم تجار ورجالكم باعة جائلون !

****

ووقف الشيخ عند ام وابنتها يبيعان التين والزيتون .. وسألتهما عن حالهما .. فقالت البنت - وكانت رائعة الجمال - أن اباها توفي وانهما يعملان من أجل اللقمة الحلال .. ولاحظ الشيخ اني انظر الى البنت باعجاب .. فقال غض البصر يا بني .. وخجلت من نفسي وأطرقت ..

****

واخذهما الشيخ تاركا السوق ومضى بهما ..

سألته: أتتركني؟ عاد اليا وقبلني علي راسي ثم تركني وحدي ومضي بهما خارجاً وهو يقول "انتظرني يا بني .. سوف امضي بهما إلى الجنة ثم أعود اليك .."

قلت: "خذني معهما "

****

رد وهو يضحك " لا تستحق .. هلكوك النساء"

****

وأردف وهو يضحك : " ما زال دورك هنا لم يكتمل .. اكتب .. اكتب يا ولدي لئلا يكون هناك فقرٌ وظلمٌ ومرضٌ وبغضاء .. اكتب .. فهؤلاء الناس يا حبيبي هم جنتك أو نارك" ..

****

وتركني وانا ابكي بكل ما أوتيت من دموع وانا اصرخ له : " خذني معك .. الجنة الجنة"

و تدوي في أذني كلماته كالمطارق " لا تستحق يا بني .. لا تستحق"

((٣))

الحلقة ٢:

وكان الشيخ بي رحيماً إذ صحبني إلى فضاء رحيب ملئ بالمقابر، وعلى خلفيته احدى عشرة شجرة مزهرة .. ولاحظت أن الشيخ سعيدٌ كما الطفل يوم العيد ..

****

وبودٍ ناولني فأساً وجاروفاً - وكان معه مثلهما - ونصحني ان احفر قبري بيدي .. ورغم شذوذ الطلب فإن جمالَ الموقع مع النسيم العليل جعلني اقول له "سمعاً وطاعة يا أبي" ..

****

وشرعت بحماس في حفر مثواي الأخير .. بيدي لا بيد عمرو .. من هو عمرو؟! أهو حفار القبور أم مدرس الرياضيات أم حاكم المدينة أم الفتاة الخائنة ذات الشعر الذهبي والتي قالت لي انها لا تحب الملابس الداخلية؟ من هو عمرو

****

وأخذ الشيخ يسليني ويضحكني حين ذَكَرَني بزوجتي الأولي الايطالية كريستيانو لودوفيكو التي أسقطت حملها عمداً بعدما تشاجرنا يوم ان علمتَ عنها بالصدفة سرين أولهما تافه - وهو أن اباها فاشي وأمها غجرية – بينما الثاني سر رهيب اكتشفته بنفسي بالتجربة اليومية لما تأكدت انها هي التي تلتهم الحشايا القطنية للمخدات ومراتب السرير كما تصنع من مشابك الغسيل شوربة عجيبة الطعم تشربها قبل ان تنام بجانبي كل يوم على الناحية اليمنى من السرير وانا على اليسرى بصفتي رجل يساري الهوى والنزعة والخيبة.

****

ولما لاحظ الشيخ تكاسلي عن حفر المقبرة العميقة شمر ساعديه البيضاوين كالثلج، وطفق يعينني وهو يتحدث معي جاداً هذه المرة عن خطأي في تطليق زوجتي الثانية المصرية لمجرد انها نكدية — مؤكداً انها نكدية لأني لم افهم خفايا نفسها الجوانية فضلاً عن تضاريس جسدها الخفية التي كانت بحاجة إلى عناية قوية .. وباسماً كنت علي وشك ان احدثه بزهو عن حبيبتي الجديدة السمراء التي نتطلع انا وهي للزواج لولا ان تذكرت اني احفر قبري !

****

وبدأ التراب يتسلل بقسوة إلى حلقي ثم الشعبتين الهوائيتين ثم الرئات الثلاث .. غير أني واصلت الحفر آملاً ان أسبر غور الأشياء وأصل إلى منبت الشر وأس البلاء وأصل الأرض التي منها أتيت واليها العودُ أحمدُ ..

وصار الغبار تلالاً في حلقي وجبالاً في صدري وانا ما زلت أحفر وأحفر وأحفر .. والقبر لا ينتهي ولا تبرز تفاصيلُه ولا تتضح له أيُ معالم ..

****

واستغرب الشيخُ وتعجبت انا اكثر منه .. فالحفر لا يفضي إلى شيء .. يبدو أن الرحلة طويلة، والُشقة بعيدة، والزاد قليل .. فماذا نفعل والقبر ضرورة؟ .. وهل القبر فعلاً ضرورة؟ لماذا يجب علينا أن نخفي الروح أحياء ونخفي الجسد موتى؟

ووجدتني رغماً عني استدير للشيخ وأسأله وانا اضرب بالفأس لأشق وجه الارض الي موتي: "هل الموتٌ صعب الى هذا الحد يا شيخي الكريم؟..

وكان الشيخ مطرقاً يبكي في صمت بينما دموعة الطاهرة تبلل لحيتَه البيضاء وهو يتمتم قائلاً: "يخشاك الموتُ يا ولدي .. ما بالُ القبر يخافُ ساكنَه .. ما بالُ القبر يخافُ ساكنَه!"

الحلقة ٣:

الطريق !

ومضينا وسط السبخ والمستنقعات. الشيخ وانا وخلقٌ كثير. ارض لا تُطاق. طينٌ وماء آسن ملئ بكل صنوف الثعابين الصغيرة والابراص والصراصير. وصار جوفي فارغا بعدما افرغت قرفاَ كل ما عندي طوال الطريق. وسئمت من سؤال الشيخ عن وجهتنا.

****

ولاحظت أن الرجال والنساء أخذوا طوال الطريق البائس يتخففون من ملابسهم وملابسهن قطعة قطعة حتي يتمكنوا من السير علي طريق الشوك والنجاسات والعطن.

****

ورغم ان الفتاة التي كانت امامي صارت عارية فلم يلتفت اليها او الى غيرها احد. ومللنا من طول السفر وقلة الزاد وندرة الصبر.

****

وكان أحد الرفاق يحدثنا عن نهر في نهاية الطريق سوف يغمرنا مُغتسلاً بارداً وشراباً طهوراً نصير بعده خلقاً جديداً بلا اعضاء ذكورة ولا انوثة ولا شهوة ولا معاشرة نساء ولا ولادة ولا عيال ولا يحزنون. واكد ان التكاثر سوف يحدث بالنوايا الصالحة.

ولمحت ما بين السَبَخ وردةً ذكرتني بالحبيب الاول . يا ربي. حينما نصل لن يكون هناك حبيبٌ ولا حب ولا انوثة. لن تكون هناك فاطمة ولا ليلى ولا نبيلة ولا ولادة ... يا رب ما نوصل !

****

.. ونظرت ورائي بحثا عن الفتاة شبه العارية .. فوجدتها تحمل رجلاً على كتفيها تعب من مشقة الرحلة .

****

ومضيت أبحث عن الشيخ لأسأله للمرة الألف عن وجهتنا وعن نهاية الطريق

الحلقة ٤:

وتحلقنا جميعاً حول الشيخ نحاوره ونتعب قلبه .. ثلاثة من اليهود، وأنا، وجمع من الكاثوليك والبروتستانت يجلسون ظهر كلٍ منهم إلى ظهر الآخر ، وكثير من الشيعة يتضاحكون كأنهم أعانوا الحسين، وبعض البوذيين والسيخ والشنتو، ونفر من ديانة لا أعلم اسمها غيرَ ان نساءهم لا ترتدي من الملابس إلا قطعة شفيفة، ولذا منعنا جلوسَهن حول الشيخ. وكان الجوع يقرصني والشهوات والعطش بينما الشيخ يقرأ: ".... تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله ....."

****

وصرخت فتاة ترتدي الجينز والقميص علي اللحم وشعرها سائب كما كلماتها: "ولماذا يشغلنك التوحيدُ أكثر من العدل والوزن بين الناس بالقسطاس؟" .. ورمقها الشيخ بطرف عينه وهو يقول: "".. شَهِدَ اللهُ أنَّه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم قائماً بالقسطِ لا إلهَ إلا هوَ العزيزُ الحكيمُ ..: "

****

وهنا حاولت الفتاة أن تقترب اكثر من الشيخ بعصبية. فأمسكت بها بحنان لأمنعها، ولكن جسدي ارتعد من سخونتها وهي تصرخ في الشيخ: "ألا ترى بعين رأسِك الفقراءَ والمساكين كغثاء السيل من الهند إلى طنجة ومن الاسكندرية الي تشاد ؟ ماذا ينفعهم التوحيدُ الذي تنادي به وأموالهم مسروقة .. وهل يقدم التوحيدُ الحليبَ لأطفالهم والكساءَ لزوجاتهم شبه العاريات؟" .. وتملى الشيخ فيها وهو يقرأ بهدوء مُفتَعَل: "... وما أُمِرُوا إلاّ ليَعْبُدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانَهُ عمّا يُشرِكون ..." ..

وافلتت الفتاة بقسوة من قبضتي تاركة قطعة من قميصها في يدي وهجمت علي الشيخ وامسكت بكتفيه وهي تقول: "لا معنى للتوحيد وهم جوعى مستضعفون يا أبي. لا معنى يا أبي. تعبت يا أبي" ..

****

وربت الشيخُ علي كفيها والدموع من عينيه تمتزج بكلماته: "...فإن تولّوا فَقُلْ حسبِيَ اللهُ لا إله إلاّ هو علَيْه توكّلْتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم ..."

****

وجذبتُ الفتاةَ برفق واخذتها معي بعيداً وانا اكفكف دموعها معجباً بأنوثتها الصارخة .. ومضينا بعيداً وانا افكر كيف افاتحها في الأمر الأهم الذي بات يشغلني وقطعة من قميصها بيدي وخيالي يدور في جسدها الرهيب وفي تكلفة الزفاف العالية، والشيخ يقرأ بجلال وجمال: " .... هُو اللهُ الذي لا إلهَ إلاّ هُوَ عالِمُ الغيبِ و الشهادةِ هُوَ الرحمنُ الرحيمُ. هو اللهُ الذي لا إله إلاّ هو المَلِكُ القدّوسُ السلامُ المُؤمنُ المُهيْمِنُ العزيزُ الجبّارُ المُتكبِّرُ سبحانَ اللهِ عمّا يُشركون. هُوَ اللهُ الخالِقُ الباريءُ المُصوِّرُ لهُ الأسماءُ الحسنى يُسبِّحُ لهُ ما في السمواتِ و الأرضِ و هو العزيزُ الحكيم"

الحلقة ٥:

لحظة الاستيقاظ لا تشبه القيامَ من الموت للنشور في الميعاد، ولا تشبه صعودَ المسيح الى الله بعدما تآمروا عليه لصلب الجمال في دنيا الله، ولا تشبه – بأي حال من الأحوال – لحظة اكتمال النشوة بين رجلٍ وزوجته على فراش الملل.

****

وتختلف صحوةُ "فتحي" من نومه في ذلك اليوم الأغبر عن مثيلاتها في بلاد العرب والعجم .. فقد قفز الرجلُ مباشرة من السرير الى الشارع – بدون ذهاب الى الحمام او المطبخ او حتى الاطمئنان على زوجته وعياله .. وبدون التحقق من أن لديه أصلاً زوجة او عيال !

****

وتعجب الرجل الأربعيني وهو يمشى الى عمله من غرابة الاسفلت والأرصفة .. لماذا تحول الطريق الى خريطة؟ ما هذا العبث؟ مَن الذي لعب بمعالم الشوارع ما بين بيته وديوان وزارة العدل حيث يعمل كاتباً على الدرجة الرابعة بدبلوم الصنايع؟

****

وبمرور الوقت بدأ فتحي يستمتع بالقفز فرحاً فوق البلاد والانهار والجبال والوديان المرسومة على الخريطة المنقوشة بالألوان الصارخة على اسفلت الشوارع .. الله الله.

وبدأ يتحنجل يتمرقع في مشيته ناسياً مواعيد العمل، ومتجاهلاً ما تعلمه صغيراً في كتاب التربية الوطنية بأن "العملَ حقٌ وواجب وشرف وحياة".

****

يدوس بقدمه على الدلتا في مصر .. ها ها ها ها .. تذكره الدلتا بالبنت اللولبية سعدية في الفراش مسترخية .. ها ها ها ها .. ومنها نط شرقاً الى القدس.

****

وللاسف داس بقدمه على سفارة العم السم .. ما هذا الجمال ؟ .. لماذا لونوا القدس بالأبيض لونِ الموتِ والكفن؟

****

موتُ مَن؟ موتهم أم موتنا ام موت الجميع أم موت زوجته بنت الكلب النكدية؟و لماذا يمنعون الطلاق في بلادي؟ والله لو أباحوا الطلاق فسوف أطلق نسوان

العالم كله .. ها ها ها ها .. ولكن لكي أطلق نساء العالم يجب أن أتزوجهن اولاً .. ها ها ها ها .. وتخيل فتحي صورة نسوان العالم كله كله كله عاريات على فراشه .. ها ها ها ..

****

"شكلي اتجننت" ..

****

وبعد السكرة تأتي الفكرة لا محالة! .. وصل فتحي أخيراً للطابق الرابع حيث مكتبه بوزارة العدل. ولكن لماذا الأضواء مطفأة والخرسُ يعم كل شئ؟ ..

****

لا يوجد سوى شرطي يبدو عليه انه لم يأكل لقمة من عشرين سنة. ولكنه بحسم يصرخ في وجهه:" لا يوجد عمل .. ارجع لبيتك .. لقد ألغت الحكومة العمل .. لا توجد وزارة للعدل. عد الى بيتك ولا توجع دماغي .. كفاية ان الجميع نسوني هنا ولا يرسلون لي طعاما ولاشرابا ولا نسوان .. عد الى بيتك".

****

والله أحسن وأحلى .. طز .. لغوا العمل؟! .. ها ها ها ها ها ..

ومضى فتحي يتقافز على خريطة الشارع في طريقه إلى بيت الله ليتطهر من آثام العمل والزواج والعيال .

****

هل أنا متزوج؟ لماذا لا اذكر اي شئ عن تفاصيل جسد زوجتي ولا روحها ولا قلبها الجميل .. ها ها ها ها .. يبدو اني كبرت وخرفت .. كيف ينسى الزوجُ نهدي زوجته ؟ ها ها ها ها ..

****

وصدمت عينيه اللافتةُ الكبيرة بحروفها المضيئة باللونِ الأبيض على الخلفية السوداء ..

" مغلقٌ للاصلاح والترميم حتى الأسبوع القادم .. عودوا بعد أسبوع يا عباد الله" ..

****

"جت م الغريب ولا جاتش منك

وانت الحبيب من صُغر سِنك

ها ها ها ها .."

أخذ فتحي يقهقه وهو يعود للخلف عبر خريطة الشارع المزركشة الى بيته ليتطهر في بيته طالما أن هناك اصلاحاً وترميماً في بيت الله.. ما أحلى الرجوع إلى البيت .. ما احلى التطهر في حضن الزوجة التي هي مودةٌ ورحمة و .... ها ها ها ها .

****

وفي طريق العودة الى حب عمره تقافز حول تونس والمغرب والفلبين .. ولما حصره البولُ فكها على المكسيك وجنوب أمريكا .. لا يستطيع فتحي ان يقاوم البول او حلاوة سعدية عندما تكون كما الدلتا في شمال مصر .. ها ها ها ها .

واخيراً بعد ساعة من رن الجرس والخبط على خشب الباب فتحت الزوجةُ ذات الارداف الرهيبة الباب وبيدها الشبشب .. شبشب فوشيا مزركش بالازرق لا يهين الرجال بل فقط يوجعهم.

"لم يعد هذا بيتك يا معفن .. ابحث عن بيت آخر .. طلقتك غيابي يا ابن الدايخة .. لا يوجد ما يجبرني ان انام بجوارِ رجل شخيره من القاهرة يوقظ اهالي النمسا، ورائحة ما تحت إبطيه تعكر الودَ في دنيا الله .. روح في ستين داهية انت وامك اللي عاملة زي القلم الرصاص .."

لا عمل ولا منزل .. لا سكن .. لا مودة ولا يحزنون .. أهناك رحمةٌ في احضان النساء أو أرواحهن؟ .. وبيت الله مغلق للترميم وتركيب المكيفات الى يوم الاحد القادم حسب الاعلان .

****

وفي الطريق إلى هناك .. إلى أين؟ .. كان القفز فوق الخرائط قد صار مهنة وحرفة .. وفي أحد المنعطفات وهبه الحظُ ذلك الصبىَ الجميل الذي كان مثله يتمخطر فوق الخريطة ويلعب فرحان جِذلاً .. الغلامُ القمر .. أردافه كما الحشايا .. وعيناه نجلاوان .. واو .. ما أحلى الغلمان ! تسقط النسوان !

****

و تشابكت ذراعاهما وهما يمشيان اميالاً وأميال .. شوارع وحواري وأَزِقة .. عبر الخريطة الملونة بلون الدموع اللامعة .. من طوكيو الى سيول الى

بيونجيانج الى بغداد الى .... شوارع وحواري وهو يحتضن الحبيب بحثاً في الطريق عن مرحاض عمومي .

****

يمران بطبرق وطنجة وعاصمة النور باريس ولندن مهد شكسبير .. هل اختفت المراحيضُ من العالم؟

ويتعثر الحبيبان على الخريطة فيقعان على ريف دمشق .. الا توجد مراحيضٌ ليلتقي الحبيبان في ريف دمشق؟

****

ويمضي الحبيبان .. على الخريطة المجيدة وهو يدندن .. والغلامُ الأمرد معه يدندن بالطقطوقة التي كان بها جدُهما يدندن:

"طب وانا مالي هيا اللي قالتلي

روح اسكر وتعالى ع البهلي

شربت شوية وبعد شوية

بعتتلي الخدام يندهلي

بعتتلي وياه مزيكا

بتغني على نغم السيكا

والماشية تركي تركيكة

شيء يخليني افوت اهلي

قابلتني رايحة الأزبكية

دي حبيبتي راكبة العربية

قالتلي دا انا مستنية

قلتلها أجي على مهلي !!!

طب وانا مالي هي اللي قالتلي

روح اسكر وتعالى قابلني .."

الحلقة ٦:

ما هذا الهدوء؟ المكانُ مشهور بالزحمة والضجيج .. بطلوع الموظفين ونزولهم، والسكان، والعيال، وبائعي اللبن، ونساء المتعة، والأطباء، وأمناء الشرطة، وخَلقٍ كثير طوال النهار والليل ..

****

صمتٌ مريب .. في الطابق الارضي امام الاسانسير .. هي وأنا .. فقط .. كيف خلا الكونُ إلا من حُسام ونِهاد؟

****

ونزل المصعدُ إلينا يتهادى ليحملنا إلى العلالي .. هبط الى نقطة البدء .. وكان الرقم بارزاً بلون قميص النوم الاحمر المسخسخ في دولاب ملابس نهاد المُغلَق منذ ٢٠ سنة .. صفر .. الطابق صفر .. صفر .. صفر ..

****

ودخلنا سريعاً وكلٌ منا ينظر الى لوحة الاسانسير .. الطوابق سبعة ..

****

وكبست نهاد زرَ الطابقِ السابع والاخير .. ولم أنبس ببنتِ شفة، او افعل أيَ فعل .. ماذا عساي ان اقول بعد كل ما قاله الله وقاله الإنسان؟! .. وهل هناك ما هو أفضل من كبسة نهاد للزر الأخير في المصعد الخالي في ذاك الكون البائس؟!

الطابق ١:

وفي الطريق ما بين الصفر والواحد، بدأت اللعبةُ تتضحُ قواعدها .. ظهر – لها ولي – أن ليس ثمة قواعدٌ لأي لعبة من الأصل .. يا ربي ما الذي يحدث في نفسي ونفسها؟ جسدي وجسدها؟ روحي وروحها؟ في نفس الوقت! .. في نفس الوقت!.. ألم يقولوا لنا ان الخطوات هي نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء؟ خدعونا خدعونا خدعونا .. عندما صرنا وحدنا انكشفنا .. انكشفنا .. لماذا نقفز فوق كل الخطوات ونحرق كل المراحل؟! يا الهي اغثنا .. أغثني وأغثها ..

****

الطابق ٢:

وتعطلت لغةُ الكلام .. واشتعلت لغةُ السؤال الذي بلا جواب .. "هل امامي خيارٌ غيرك يا حُسام؟" .. "هل ثمة مهرب منك يا نهاد ؟".. لماذا الجنون ؟ .. اين الموقع أو المهرب او الطريق او حتى الحريق؟ .. وكيف؟ .. كيف؟ .. كيف؟ .. الا توجد قواعدٌ ولوائحٌ ونُظمٌ تحكم ما يحدث؟ .. ولكن السؤال الاهم .. ماذا سيحدث؟ .. ماذا سيحدث بيننا ولنا وبنا علينا وفوقنا وتحتنا؟ .. يا رب اغثني واغثه ..

****

الطابق ٣:

وفي المسافة ما بين الثاني والثالث كانت مقاومةُ نهاد قد نفدت بينما حسام انهد حيله! .. لا يوجد في العالم غيرنا نحن وهذا المصعد اللعين .. الفناءُ قادم .. لاشك في أن عبده البواب حارس العمارة قد مات، و بيسة الشغالة انتحرت، وسيد السباك تسربت دماؤه في المجاري، والدكتورة سحر طبيبة النساء حملت سِفاحاً ودفنت الجنين في المطبخ ونامت بجانبه، والمغوار ابو فراس الحمداني قائد حامية المدينة تفرق دمه بين القبائل العربية، وشحاتة القواد ومعه روحية

العاهرة تزوجا، فضلاً عن راعي الكنيسة وواعظ المسجد .. كله مات .. كله مات .. الفناء يهدد دنيا الله .. وانا احبك يا حسام وانت تعشقني رغم انها اول مرة تراني واراك في حياتنا الطويلة .. كم عمرك يا حسام؟ كم عمرك يا نهاد؟ .. وبضحكة تمتزج فيها الميوعة بالحسم قالت نهاد: "لا تسأل امرأة عن عمرها أو لون جوربها؟" .. هئ هئ هئ هئ .. ها ها ها ها .. يا رب اغثنا ..

****

الطابق ٤:

"يا حبيبي .. إلى اين يأخذنا المصعدُ اللعين؟" .. أكاد أفقد عقلي .. الأسانسير حركتَه رأسية .. لا يصح ولا يجب وما ينبغي له ! .. الحركة الرأسية مدمرة في وقت الهبوط .. كلانا يهبط إلى الأصل .. الى منبع الوجود .. الى البدء .. الى الصفر .. إلى نقطة اللاعودة واللاذهاب .. كيف نهبط نحن بينما المصعدُ يصعد ؟! .. يجب أن توقفه .. ألستَ رجلاً؟ .. اوقفه .. اوقفه ..

لن تستقيم الدنيا إلا إذا توازى الهبوط مع الصعود ..

الحلقة ٧:

"يا الهي انتظرناه طويلاً ولم يجئ ..

لم تعد النساء تحمل مهما تعبن هن وازواجهن في غرف النوم او حتى في العراء ..

لو استمر الحال كما هو، سيأتي العدم .. فالوجود يا ربي ينبع من أصلاب الرجال وأرحام النساء .. انتظرنا طويلاً ..

تعالى الله ان نقول انا سئمنا في حضرته".

****

كانت ابتهالات الشيخ تخرج من فمه وهو يبكى بكاء مراً ويقول لي ان "المهدي" غاب مائة سنة، ولكنه حتماً سيجئ .. حتماً سوف يأتي .. فالنساء تعبن من العقم .. النساء تعبن من العقم .. والرجال !

****

وسألت الشيخ قبل ان انفذ خطتي الغادرة:

"وماذا سيضيف المهدي للرجال والنساء لما يجئ؟ أليست بذرةُ الحياة هي هي في صلب الرجل وفي جوف المرأة ؟ ما علاقة مجئ المهدي بالاخصاب والحمل والولادة يا شيخي الطيب؟!"

****

"العدل"

همس الشيخ وهو يوضح لي ان الظلمَ سمٌ ناقع يسمم الدنيا ويمنع التوالد.

****

ولم اقتنع بهذه الخرافات، وقررت ان انفذ خطتي في الهجرة من القرية العقيمة نساؤها إلى قرية "ابو النمرس" القريبة لأتزوج البنت "ولادة" بائعة المحشى السمينة هي وأمها .. لا شأن لي بأمها .. ها ها ها ها ..

وفوجئ الشيخ بي وانا اقوم واحمل بقجة تحوي الجلبابين اللذين خرجت بهما من الدنيا، وجهاز الايفون والتابلت، ومعه فانلاتي والألبسة البفتة، وشرايط الفياجرا والترامادول لزم البهجة والليالي الطويلة مع البت "ولادة"، وغيرها من مستلزمات الحياة.

ومضيت حاملاً خلجاتي .. والشيخ يلاحقني بنظراته .. في الطريق الى "ولادة" .. وفي الأفق بناتٌ منها وذكور .. بلا "مهدي" بلا يحزنون !

****

وكانت الاغنية الشعبية تتسرب من فمي وانا ماشٍ اتمخطر:

"معرفش ادق الكزبرة

معرفش ادق الكزبرة

ساعة الطبيخ عيانة

ساعة الغسيل عيانة

ساعة السرير متحضرة

معرفش ادق الكزبرة !

****

بلا مهدي بلا يحزنون !

الحلقة ٨:

"قواعدُ اللعبةِ واضحةٌ كالشمس، صارمةٌ كالسيف، صريحةٌ كما غزليات الرجال في النساء، واحتياج النساء للرجال .. واللعبةُ لا تحتاج منكن إلا الى شئٍ من الفراسة، وقليلٍ من الإيمان، وبعضِ الغنوجة"

هكذا قال الشيخُ للنساء في مُكَبِرِ الصوت، بينما كنتُ أتعجب من جرأته، وأخفى بداخلي اعتراضي على اللعبة من أولها لآخرها.

****

وكانت الغرفةُ، التي تتسع لعشرةَ أشخاص، مكتظةً بالنساء، مزيجٍ من الثيبات والأبكار.

****

مائة أنثى بالتمام والكمال يملأن جوانبَ الغرفة حتى يوشكن أن يختنقن .. يجلسن، أو بالاحرى يركبن، بعضهُن فوق بعض – متذمراتٍ من ضيقِ الدار وضنكِ الزمن وعسف الرجال والحكام وعقوق العيال .. مائة امرأة.. منهن ٩٩ سحاقية وامراة سَوِية !

ومضى الشيخُ يشرحُ للحريم قواعدَ اللعبة في دنيا الله:

"مليون دينار من صندوق التنمية البشرية التابع للأمم المتحدة لِمَن يفوز. واليكم اللوائح يا أحلى خلق الله. بينكن امرأةٌ واحدةٌ سَوِيةٌ من ناحية الجِنس، أي أنها (للأسف) تميل الى الجنسِ البشع الخشن الخائن المزواج فارغي الأعين، جنسِ الرجال .. بينما البقية منكن سُحاقيات – ٩٩ سحاقية تميل الى الجنس الأجمل والأرقى والأحلى والألطف والأرق والأكمل جنسِ النساء".

****

وصرخت امراةٌ في وجه الشيخ:

"ألا يمكن أن تضعنا في غرفةٍ أوسع قليلاً. انا اكاد أَحمَلُ من تحرشِ النساء بي. حرامٌ عليك"

****

ومنعني الشيخ من أن أحاول حل مشكلة المرأة المتذمرة، ومضى يقول متجاهلاً شكايتها:

"ينبغي عليكن أن تلجأن للفراسة لتعرفن مَن هي المرأة السَوِية بينكن .. لا حلَ سوى الحكمة يا قوارير".

واستطرد الشيخ:

"في كلِ طلعةِ نهار يجب أن تقمن بإجراء اقتراع (ديمقراطي) بينكن على إخراج واحدةٍ منكن من الغرفة، واحدةٍ تظنُ المُقترعاتُ منكن في كل يومٍ انها هي المرأة السَوِية، فيقمن بإخراجها من بينكن .. يوماً بعد يوم بعد يوم .. وينقص العددُ تدريجياً حتى يتبقى امرأتان فقط في الغرفة."

وصرخت فتاة ينادونها بـ "بُسبُس" راجيةً ان تذهب الى التواليت .. ولكن للأسف لا تواليت ولا يحزنون .. فعلى مَن تناديها الطبيعةُ ان تنزل التنورة وتقضي حاجتها وسط النساء .. لا خجل ولا حياء .. فليس في الغرفة رجال .. الخجل مرتبط بوجود الرجل، وكذلك الملابس الداخلية المثيرة، والماكياج الصارخ، و الليونة، والنعومة، والرَفَث من القول والناعم من الهمس، واللمس. اذن لما ينتفي هذا الجنس المعفن، جنس الرجال، يمكن أن تفعلن ما تردن. اخلعي التنورة وما تحتها ولبِ نداء الطبيعة، واحمدي الله ان تخلصتي من الجنس الزبالة .. ها ها ها ها ها ..

ورفع الشيخُ عقيرته وهو يلوح للفتاة بأن موضوع التواليت ليس هو قضيتنا الآن:

"فإذا ثبت – بالكشف الطبي – انكن نجحتن في تحديد المرأة السَوِية وإخراجها من الغرفة في اي يوم من أيام الاقتراعات اليومية، ومن ثَم فإن آخر امرأتين متبقيتين تكونان سحاقيتين ، فسوف يتم تقسيم جائزة المليون دينار عليكن كلكن بالعدل والقسط .. إن الله لا يحب الظلم".

****

وهنا صرخت "تنهيدة" اجمل النساء:

"وماذا لو ان المرأةَ السوية بقيت كواحدةً من آخر امرأتين ؟"

****

وبالمناسبة يُقال – واظن انها شائعات – ان تنهيدة حملت من صديقتها توحيدة بطفلة جميلة كما القمر، ولكنها وأدتها ودفنت جثتها في المطبخ. واظن انها شائعة لأن حملَ امراة من امراة يحتاج إلى أدوات ووسائل غير متوفرة في بلادنا البائسة.

"في هذه الحالة تخسرُ النساءُ جميعاً، وتذهب جائزةُ المليون دينار للمرأة السوية وحدها".

رد الشيخ بحسم كما العاصفة.

****

تخسر التسع وتسعون سحاقية وتفوز الَسَوِية التي تعشق الرجال. هي لعبة الفراسة يا احلى مخلوقات الرحمن .. يا نساء الدنيا ..

****

ووسط صرخات النساء سألتُ الشيخَ عن غرضه من هذه المهزلة، ولم يجب بكلمة واحدة. فمضيت معه الى مبتدأ الطريق وانا لا اعلم مختتمه.

****

وخجلت ان اخبر الشيخ بشأن الفتاة التي شغفني حبُها من بين نساء الغرفة ..

****

ومضيت مع الشيخ أسأل نفسي:

"يا ترى أسحاقيةٌ هي أم سوية؟" ..

****

حراقٌ هو حبُ الرجال للنساء .. استعنا على الشقا بالله ..

****

"يا رب تكون سَوية .."

الحلقة ٩:

تربع الشيخُ متكئاً على أريكته الخشنة الخيزران المكسوة بالخيش والكتان، وامامه رزمٌ ورقية للتقارير التي أرسلها إليه "المجلس العربي الأعلى للغرام" عن الطلاق والزواج والعنوسة والحب وسنينه، والتي ملخصها:

ثماني حالات طلاق كل خمس دقائق في مصر التي جار عليها الزمن بعد أن كانت المحروسة ام الدنيا ،،

ثماني حالات طلاق كل ساعة في السعودية ،،

أربع حالات طلاق كل ساعة في تونس مهد الربيع العربي ،،

أربع حالات طلاق كل ساعة في الإمارات بلد الربيع العربي المضاد ،،

ملايين البيوت العربية مغلقةٌ على ازواج وزوجات ينام كلٌ منهما بفراش منفصل ويحيا حياة منفصلة و يحلم بأحلام منفصلة في عالم كلمة المرور فيه هي "لا علاقة لي بك ولا علاقة لك بي"،،

ملايين العربيات على الفيس يبحثن في العالم الافتراضي عما لم يجدنه في الواقع، وملايين الرجال ضاعوا في الافتراضي وفي الواقع! ،،

دموع النساء بين المحيط والخليج تكفي لري الصحراء العربية الكبرى !

****

وجلسنا – "قمرُ الزمان" وانا – امام الشيخ مُمَثِلَين للرجل الفارس والمراة الولادة، كلٌ منا يأمل ان يستمع اليه القاضي ويحكم بينه وبين خصمه الحبيب بالعدل والقسطاس .. ما معنى العدل؟ فانا اعرف معني القسطاس.

****

كان الوقت يضيع هباءً في محاولاتنا، انا والشيخ، لإسكات قمر الزمان عن النحيب والولولة. وتعب الشيخ من محاولة افهامها اننا في مَحكَمة، وأن البكاء الحريمي مكانه غرف النوم العربية، والسجون العربية، ومكان آخر لا يليق أن نذكره صوناً للود!

****

وتحدثتُ طويلاً – والشيخُ عني لاهٍ – عن الشكاوى التاريخية للرجل العربي من سِمنة النساء وخصوصاً بمنطقة الكتف (لنسمها الكتف أدباً!)، ونكد النساء الأزلي، وغرام النساء بالصندوق الأسود الذي تخفي فيه كلُ واحدةٍ منهن مظالمَ الاب والزوج والطليق والاخ والحبيب والخطيب طوال سنين العمر – لتخرجَ

منه العقارب والحيات أينما تشاء ووقتما تشاء .. وتحدثت عن الليالي التي عشتها احلم بها وهي في غرفة اخرى تحلم بي، وبيننا سد منيع .. وتحدثت عن وقوفها ضدي في كل شئ اقوله او اهمس به او احلم به، ولمحت الى أن شيئاً لم يَعُد يقف .. وتحدثت كثيراً كثيراً والشيخ في عالم آخر وقمر الزمان تبكي وتبكي وتبكي ..

****

ولما جاء دور قمر الزمان في الكلام .. توقف بكاؤها .. ووقفت شامخةً كما جبل أحد.

يا الله .. كيف غابَت عني أنوثتها الطاغية طيلة عشر سنوات من العشرة والغرام والسهد والهجر والصد والرد والعيال ووووووو .. ؟!

****

يا الهي .. كم انت ساحرةٌ يا حبيبتي .. واو! .. شَعر رقراق كما الموج في البحر الأسود ،، عينان نضاختان ،، خدٌ ما بين الورد وبين الكَرم ،، جِيد يفوق وردة الجزائرية !!! .. واو ..

وتكلمت قمر الزمان أخيراً:

((٣٥))

"طلقني .. والا خلعتك .."

****

ونظر الشيخ اليَ نظرةً لا معنى لها ،، وبادلتُه بنظرةٍ بلهاء ،، ثم نظر كلانا الى قمر الزمان نظرة تتسم بالهبل ،، وبادلتنا قمرُ الزمان نظرة أعبط من العبط، قبل أن تلقيَ في حجورنا بالحكمة الخالدة:

"طلقني .. والا خلعتك"

واخذني الشيخ بعيداً وهو يتمتم:

" حقها يا ولدي .. منحها الله اياه من فوق سبع سموات .. لا تحزن فالنساء كثير مثل حبات الارز في حقولنا العطشى .. حقها يا ولدي .. حقها يا ولدي .. قضى الله ألا تنام امراةٌ على فراش رجل الا برضاها .. وقضى ألا ينام رجل على ...."

وقاطعتُ الشيخ بحدة:

"ولكني أحبها .. أحبها يا ابي كما احب الحق والخير والحرية" ..

الحلقة ١٠

المكان: قاعة جانبية تضم اجتماعاً جانبياً يُقامُ على هامش حفل الزفاف الملكي الاسطوري بكنيسة القديس جورج في قلعة ويندسور بالمملكة المتحدة – بريطانيا العظمى سابقاً.

****

الحضور: الأمير هاري العريس ،، ميجان ماركل العروس ،، الأمير تشارلز والد العريس ،، الاميرة ديانا والدة العريس (تم استدعاؤها لفترة قصيرة ثم تعود) ،، كاميلا باركر باولز زوجة الأمير تشارلز ،، الشيخ ،، وانا.

****

الغرض من الاجتماع: كان الأمير هاري قد أصر على أن يفضَ الشيخُ خطيئتَه الكبرى قبل أن يقوم هو بفض الغشاء الملكي الساحر،، ولذا استدعى الشيخَ وامَه ديانا واباه تشارلز ،، بينما اصر الشيخُ على حضوري رغم معارضة الأمير هاري ووالده.

****

الأمير هاري:

"يا شيخَنا .. كنتُ منذ سنة او يزيد قائداً لطائرة مقاتلة من طراز أباتشي ،، وكنت أقوم بدوري في تخليص البشرية من المقاتلين الأفغان الرِمَم، وذلك في إطار واجبي كطيارٍ مقاتل في مساندة قوات حلف الأطلنطي البرية وهي تخلص الارضَ من الإرهاب."

****

وشعرت بالرعب وانا ارى ابتسامة الفخر على وجه الأمير تشارلز ولي عهد الامبراطورية التي ما طلعت عليها الشمس ولا القمر .. الفخرِ بابنه الفارس المغوار ،، والتيه والفخر على وجه زوجته الحيزبون كاميلا باركر باولز ،، فضلاً عن نظرات الهيام والاعجاب المجنون على وجه العروس ميجان التي كان بادياً على وجهها انها منزعجة من الجلسة التي تؤجل تحولها من عذراء الى زوجة الأمير .. وعلى سبيل الانتقام امتدت يداي لتتحرش بالاميرة ديانا .. واو! .. انا وديانا حلمُ الرجال على كوكب الأرض! .. وما هذا الفستان الشفيف الذي أوصلني بمنتهى السرعة الى مرادِ الرجال من النساء ... ها ها ها ها .. الكلُ مشغول عني وعن ديانا .. ولكن ما هذا؟ .. هون عليك يا شيخنا ! .. فأنا انتقم للعالم الثالث والمستضعفين .. ها ها ها ها ..

الشيخ:

"يا سمو الامير .. انت الذي طلبتني لأحاول أن أخلصك من آثامك وشعورك بالذنب. بالله عليك ..."

****

وهنا قاطعه الامير هاري بغضب وحِدة قائلاً:

"من خدعك وقال اني اشعر بالذنب .. لا لا لا لا .. سوف أعيد عليك ما قلته للصحافة الانجليزية. لقد كنت انتزع الحياة من أناسٍ لأنقذَ حياةَ أناسٍ آخرين. هذا واجبي .. يجب قتل الارهابيين في كل مكان .. الارض بدونهم اجمل واحلى يا شيخي العظيم."

****

ولم أعد قادراً على المتابعة فقد كنا – ديانا و انا – قد أخذنا بعضنا في ركن من الغرفة نتبادل القبلات في صمت رهيب حتى لا يسمعوننا .. وكنت انتقم من ابنها الذي يفتخر بانه يخلص العالمَ منا ،، ومن الاستعمار الذي علموني في المدارس أنه هو الذي سرق من بلادي الخبز والنفط والبسكويت والقشطة. تصدق بالله يا شيخي .. جسد ديانا كما القشطة! .. ها ها ها ها ..

الشيخ:

"يا بني .. هل تعلم عددَ الافغان الذين قتلتهم وانت تحتمي بطائرتك الاباتشي في علو السماء؟"

****

الأمير هاري:

"ليس يهم .."

****

وكانت الاميرة ديانا تتوسل ان أعيدَ الكَرة فقد وجدت فيَ الفارسَ والمنقذَ والمُخَلَصَ والذكرَ العربي الجامد .. ها ها ها ها..

****

الشيخ:

"الا تعلم عددَ قتلاك؟ الا تعلم يا ولدي أهم مقاتلون ام مدنيون .. نساء ام رجال ام عيال؟"

الأمير تشارلز (مقاطعاً)

"يا شيخي القمر. أتيتنا لتريحَ الاميرَ في ليلةِ عرسه .. فلا تكن قاسياً معه .. واين ديانا؟ واين مساعدك الاسمر؟"

****

و اختبأنا – ديانا وانا – في بعضنا .. كيف تحملتَ كلَ هذا السحرِ والميوعةِ يا تشارلز ! ها ها ها .. واضح انك كنت تنام وحدك في سريرك الملكي بجانب أمك وتتركها لنا .. ها ها ها ها ..

****

الشيخ:

"حسناً يا بني . لقد كنتَ تقومُ بواجبك .. وها أنا ذا أُحِلُك من أي شعور بالذنب لما اقترفته من اراقة اي دم .. ولكني لن اسامحك، ولن يسامحك البريطانيون، ولن يغفرَ لك التاريخ إذا وجعت العروسَ الجميلة هذه الليلة وانت تريق الدمَ الأهم .. كنتَ تقومُ بواجبك يا بني ..

والآن فلينفض هذا الجمع، ولتقم انت وزوجتك سريعاً لتؤديا الواجب الاكبر والاعظم والأسمى .. يا هاري ويا ميجان .. أنتما الآن زوجان .. فليبارك الربُ اولادكما وذريتكما الطاهرة .."

****

وكنت اسمع هذه الكلمات السامية من الشيخ وانا استفرغ ما في بطني بعدما اكتشفت أن المرأةَ التي كنت طوال الوقت اناغشها هي هيكل عظمي ... اووووه .. ديانا هيكلٌ عظمي بلا لحم ولا شحم .. ووجدتني ارتعش و ملهمتي – الهيكل العظمي للاميرة ديانا – تقول لي:

"فوقَ الجسرِ الثلجي

ما بين العشقِ

وبين الموت

تسير ملهمتُك

يا رجلاً كونياً

يا بطل النرد!

((٤٢))

تتسلي بشربِ الثلج

وأكلِ الشهد

تناجي حِباً تتجُمد أوصالُه

تنشلُ فيه الأطراف

تتراجعُ افعالُه

وتعودُ الملهمةُ

جنيناً في أصلِ المهد

بلا قلب

ولا نهد

لا ماضي

لا يومَ

ولا غد

((٤٣))

بردٌ يفضي الى برد

مع بذرٍ يثمرُ بعضَ الورد

لتسير عليه الفتانةُ

بالقدمِ وبالخد

أَتَذكُرُ ملهمتَك؟

هند؟

سمية؟

دَعد؟

ليس يهم ..

ستسير عليه بلا وُد

بالقدم تسير وبالخد

يا أسداً مقداماً

يا بطلَ النرد !

****

وخرجنا – الشيخ وانا – لنحضر الزفاف الملكي .. الشيخَ شامخٌ كما الجبل الأشم ، وانا منكس الرأس بعد ممارسة الحب مع هيكلٍ عظمي.

****

دقي يا مزيكا ..

الحلقة ١١

لم يفهم احد معنى ما كان يفعله الشيخُ في ذاك اليوم القائظ، حين صارت الشمسُ داخل رؤوسنا، بينما الرجال يسبحون في العرق، والنساء في مَرَقهن .. والدنيا قست احوالها كثيراً.

****

يا الهي ماذا حدث؟ الأطفال – بنين وبنات – يسيرون في حواري القرية بلا ألبسة ويبول كلٌ منهم اينما يعن له ولها، والنساء لم يعد يشغلها ستر مفاتنها كثيراً، فلا شئ عاد يثير الرجال، الذين لم يعد يعنيهم إلا الغلمان، والبحث عن لقمة العيش الصعبة والمرة، والحر الشديد!

****

يا الهي. هل نسيتنا؟ وكيف ينسى الربُ عياله والخالقُ عبيده؟ .. معاذ الله ..

****

ولم نفهم ما الذي يفعله الشيخ؟ عبث .. جنون .. يبدو انه كبر وخرف!

****

ووقفنا نشاهد كما الأطفال وهو يعبث بنا وبدنيانا وآخرتنا، إذ أتى بجميلة جميلات القرية، وأمرها أن تخلع ملابسها .. كل القطع بلا استثناء .. بلا استثناء ..

وأمر الشيخ الفتاة ان تنام على ظهرها عاريةً فوق سجادة حمراء اتي بها من مكان مجهول. يا ربي ما هذا الجنون؟!

****

أمرنا الشيخ أن نصطف رجالاً ونساءً وعيالاً مسلمين وأقباط وغجر ومجوس وشيعة ويهود وصابئة .. نتقدم واحداً تلو الآخر .. كلُ رجل وكلُ امراة وكلُ طفل يسير فوق الفتاة داهساً جسدَها اللين واعضاءها الانثوية بقدميه الحافيتين، ثم يقفُ حيثُ ينتهي به المقامُ حسب دوره في الصف .. كأن شيئاً لم يكن.

****

وشدد الشيخُ على ضرورة الالتزام بالدور وبالمكان في الصف قبل السير على جسم الفتاة وبعده.

****

النفسُ أمارةٌ بالسوء. خفتُ أن ينكشف حالي لما امشي فوق الجسد المهلبية. خفت من نظرات الرفاق إذ يرون بأعينهم ضعفي كرجلٍ أمام جسد امرأة عارية .. فاتنة ساحرة مشرقة مغربة كحيلة العينين ضامرة البطن وووووو .. خفت أن ينكشف ما اخفيته طوال سنين طويلة امامَ الخلق .. يا رب استرني اليوم كما سترتني طوال عشرين عاماً .. يا رب أنزل صاعقة على هذا الرجل المجنون وخلصنا منه!

****

وسرنا جميعاً على الطريق ما بين شعرها وأظافرها .. والتزمنا جميعاً بلوائح الشيخ وأنظمته. ومشينا ومشينا ومشينا. ووصلنا الى المنتهى .. كأن شيئاً لم يكن ..

****

كأن شيئاً لم يكن !

الحلقة ١٢

لا يوجد في المملكة فقيرٌ وأحد يا جنابَ الوالي"

هكذا هتف قاضي القضاة ابو بكر بن عمر بن عثمان بن معاوية وهو بحضرة الوالي العثماني حسين باشا البشناقى في مجلس السلطنة المنعقد في ديوان الحكم بساحة "باب المعظم" ببغداد العظيمة عام ٩٤٥ هـ الموافق ١٥٣٨م قبل سنوات قليلة من اشتعال الحرب الكونية الاولى.

"قضيتم – يا حبيبنا وعمرنا ومِلاك أمرنا – على الفقرُ في أرجاء المدن والقرى والموانئ كافة .. ولقد جبتُ البلادَ طولاً وعرضاً – انا وخليلتي "ميمونة" – من بغداد حتى طنجة، ومن طبرق الى صنعاء، فلم اجد فقيراً واحداً مستحقاً للزكاة يا ملك الملوك ، ولم أجد (كما يزعم الموتورون) حُرةً أو أمةً تأكل من عرق ثدييها، أو من عرق أي منطقة اخرى في الجسد الذي خلقه الله لامتداد النوع واعفاف الرجال"

وتساءل الوالي وهو يزغر زغرةً ذات دلالة:

"وماذا فعلتَ باموالِ الزكاة وفلوسِ الوقف يا معفن؟"

وبسمل ابن أبي بكر وحوقل قليلاً قبل ان يرد:

"دفعت بها الى "ميمونة" لينفقها في أعمال البر والصدقات"

"صدقات على مَن يا بن الصايعة؟!

ألم تقل أن بلادَ المسلمين خلت من الفقر؟! .. ها ها ها ها"

****

وكنا – الشيخُ وانا – نفترش البسيطة مع الرعية في مقدمة المجلس السلطاني المُغطَى بالسجاجيد الفارسية والمزركش بتصاوير النساء الروميات الكافرات العاريات. كان الشيخ مشغولاً بسحب الدخان من نرجيلته، بينما كنت منهمكاً في مناغشة جاريتين من ذواتِ اليمين فزتُ بهما منذ سنين في أعقاب حربنا الطويلة مع الفرس والروم. حلالي بلالي. وكانت يداي الاثنتان مشغولتين في دواخل الجاريتين بحثاً عن "المعنى" الذي ضاع عبر السنين، وسعياً إلى تحقيق مجد الامة ونهضة البلاد ..

وقضى اللهُ ألا تعبدوا الا اياه .. وقضي الوالي في مرسومه السلطاني بأنه:

" حيث ان الفقر قد انتفى من بلاد الخليفة ، ومعه الحزن الرجالي والنكد الحريمي وكل أشكال الجريمة والدعارة والشذوذ (ما عدا ملاعبة الغلمان السِمان)، وحيث ان الدنيا رقت احوالها، وحيث أن الذئاب قد صارت ترعى مع

الشياه ومع الكلاب ومع الرعاة في آن، فقد قضت مشيئتُنا الملكية بأن ننفق أموال الزكاة في بناء المدارس، وبيوت الدعارة القانونية التي يرعاها الأطباء، و المارستانات، ومؤسسات الوقف الخيري، و محلات عصير القصب، واتيليهات اللنجيري الحريمي، والترزية المتخصصين في حياكة البسة الرجال الدمور والقطونيل كليهما.

وأمر الوالي بتشكيل لجنة سلطانية يُناط بها تزويج كلِ رجلٍ من اربع نسوان، كلٌ منهن تناطح الاخرى جمالاً وغنوجة – جسداً وروحاً .. على أن يتم إعلاء الروح على جسد النساء، فالروح هي الأهم والأبقى من المرأة ، وذلك عملاً بحكمة الفيلسوف محمد عبد الوهاب القائلة بان "عشق الروح ما لوش آخر لكن عشق الجسد فاني يا ولاد الكلب" ..

وقال الوالي وهو يسبح بحمد الله تقدست اسماؤه وجل جلاله:

"والذي نفسُ حسين باشا البشناقي بيده لأنزلنَ الجنةَ على الأرض ولأنسينكم جنةَ السماء يا رِمَم"

دقي يا مزيكا ..

الحلقة ١٣

"ما معنى أن زبائن صالة الرقص هجرونا في رمضان الماضي، ثم عادوا جميعاً في العيد؟"

تساءلت الراقصة الشيشانية "أزمان" وهي تجلس محترمةً محتشمةً مُحجبة في حضرة الشيخ، وأنا راقدٌ كسلان الى جواره، اذ كان يحكي لي قبل مجيئها مسيرة الأحداث في بغداد قبل أن تقتحمها الدباباتُ الامريكية، وكيف وضعت الحرب أوزارها بصناديق الدولارات في جيوب الجنرالات!

****

"يا شيخنا الورع .. كيف يطلبون مني ان اتوب وانا لا افهم؟ هذا هو شهر رمضان الثالث الذي اقضيه في بلادكم. ودائماً ما يهجرنا الرجال ونفلس في الشهر الكريم، وأظنُ اني اصبحت في الجنة لا في مصر، ثم تعود الامور الى مجاريها في أول أيام عيد الفطر. حيرني رجالُكم وشتتوا ذهني وخربوا إيماني الضعيف أصلاً. ما السر يا مولانا؟"

****

ولاحظ الشيخ أن عينيي جاحظتان من جمال "أزمان" وليونتها، وشعرت بغضبه لأنه كان قبل دقائق يجتهد في إقناعي بالزواج من إحدى بنات القرية الصالحات محاولاً أن يفهمني أن هناك احتمالاً كبيراً ان ينخفض وزنها الجميزي بعد الزواج ان مارست رجولتي ومنعت المحشي من دخول البيت.

****

وبهدوء رد عليها الشيخُ السؤال بسؤال.

"هل انت راقصة في الملاهي فقط ام انك أيضاً تعملين في امتاع الرجال؟"

وصمتت "ازمان" خجلى من الشيخ. ثم صمت الشيخ. وصمتت القرية. ولم يعد ثائراً الا انا، وكل مشاعري تفيض حباً وهياماً بالراقصة اللولبية متمنياً أن ينتهي هذا النقاش العقيم لا خطفها وأطير بها لسابع أرض حيث نفعل الأفاعيل!

****

وبادرها الشيخ بالسؤال:

"لقد قالوا لي انك اتيتي الي لأنك تريدين التوبة من الرقص والدعارة، خصوصاً انك اصلاً من دولة مسلمة .. فلماذا تشغلين نفسك بتناقض الرجال المصريين. أهذا شأنك؟"

****

وفقدت "ازمان" اعصابها وهي تصرخ في الشيخ وانا احاول ان أهدئها (وألمسها في نفس الوقت) وهي تقول للشيخ أن الرجال والنساء في مصر لا يفهمون من الإسلام إلى طقوس وشعائر.

"هل يعجبك يا مولاى منظر النساء المصريات وهن يجرجرن الاسدال في الشوارع ليصلين التراويح بعد الإفطار في صورة تذكرك بالجنة، ثم يذهبن للمساجد للرغي والغيرة من بعضهن، ويعدن للبيوت بنفس نكدهن وخيبتهن"

****

وسألها الشيخ

"ولماذا تصفين لابسات الاسدال مصليات التراويح بالخيبة يا بنتي الصغيرة؟"

****

وشهقت ازمان

"لان رجالهن زبائني. أخيب ستات يا مولانا. يا شيخي لا شئ عندي ليس عندهن سوى هز البطن – وهو اصلا فن مصري. أليس كذلك يا مولانا؟!"

****

وضحك الشيخ وهو يسألها عما تعلمه عن الاسلام وما تحفظه من كلمات الله ونوره وحكمته.

****

و ساد الصمت مرة ثانية طويلاً طويلاً، قبل أن تهمس ازمان كأنها تخاطب أزمان:

"اعرف عن الاسلام أشياء قليلة. ولكن ابي يرحمه الله علمني في طفولتي ما قاله عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب ((يا علي .. إن القلوب إذا صَفَت رأت بنورِ الله"

****

واطرق الشيخ متأملاً في عظمة كلمات الراقصة الشيشانية، بينما كنت في نفس الوقت أجتهد لتأمل ثنايا جسدها الساحر، بينما كانت هي تبكي وهي تقول:

"كما علمني أبي أن خليفةَ المؤمنين وحاكمَهم علي بن ابي طالب اختصم رجلاُ يهودياً، وكان الشهود الحسين والحسين سيدي شباب أهل الجنة، ولكن القاضي حكم للرجل اليهودي ضد أمير المؤمنين.

لماذا ضيعتم الدين في شعائركم العبيطة وحركاتكم الهزيلة.

اسفة يا مولاي لن اتوب. سوف اعود للرقص"

****

وتصورت أن الشيخ سوف يوسعها ضرباً .. ولكنه ربت عليها كالأب قائلاً وهو يضحك:

"ابداُ لن تعودي. النورُ يشع من وجهك الكريم"

****

وأشار إلي وهو يقول لها:

"ما رايك ان تتزوجي هذا الثور الهائج وتهدئيه وتجعلي منه انساناً عاقلاً يساعدني في شؤون الدنيا؟"

****

وكنت على شفا الرقص من الفرح .. الله الله .. أخيراً يا شيخنا عملت في الجميل الكبير .. الله عليك ..

****

وبكل قسوة ردت ازمان وهي تعطينا ظهرها وتسير بعيداً:

"اسفة يا شيخنا .. ما يحكمش .. أصوم أصوم عن الزواج وأفطر على رجل كرشه مترين وشعره أكرت ودمه يلطش؟!"

****

وبكل قوة وثقني الشيخ بيديه ليمنعني من ضربها والانتقام من كلماتها المرة وهو يقول:

"والله البت المصرية سمينة ولكن قمر ... وانا اضمن لك الا تاكل المحشي بعد الزواج"

الحلقة ١٤

" لماذا لا يعشق زوجي الا الزبالة؟"

كانت المرأة تصرخ متساءلةً في وجه الشيخ، وأنا مرعوب منها، ومن صمت الشيخ، وسكون العالم، وثورة نفسي الرافضة مكياجها الصارخ والمشتهية لشفتيها المعبرتين.

****

"لماذا لا يعشق الرجلُ الذي أحببته إلا القمامة في هذا العالم؟"

كانت "فوزية" تلقي بالكلمات في وجه الشيخ بينما تتجاهلني كأني كيس جوافة، وانا مستلق بجانب الشيخ نلعب السيجة.

****

"ضبطتُه عشرات المرات في أحضان كل شغالات العمارة والشارع والمدينة والعالم .. لا يشعر بحلاوة الغرام إلا في أحضان الخادمات وجامعات القمامة وعاملات المصانع الفقيرات وبائعات الهوى الرخيصات "

****

"ماذا فيهن لا يوجد في انا ؟" .. تساءلت السيدة وهي تتحسس موطن فتنتها والشيخ يغض بصره، وأنا مبهور.

****

وحاول الشيخ ان يهدئ من روعها موضحاً ان الهدف من الحب هو الإنجاب في التحليل الأخير، وسائلاُ ما إذا كان لديها أولاد من زوجها عاشق الخادمات .. قبل أن تصرخ في وجهه:

"والأدهى والأكثر مرارة انه يقوم من فراشي كل ليلة ويخرج ليقضي ليلته في صندوق الزبالة في اخر الشارع، الأمر الذي يشكو منه جامعو القمامة إذ يضطرون الى ايقاظه كل صباح، كما يتأفف كل سكان المنطقة من صوت الشخير القادم من صندوق القمامة .. فاضحني!"

****

وسألت الشيخ مستغرباُ: "ربما يكون هذا الرجل في رحلة هروب منها. هل تسمح لي يا شيخي ان اسألها عن نوع البارفان الذي تستخدمه ليلاُ وماركة البيبي دول؟"

****

وضحك الشيخ هازاً رأسه بالنفي ومحذراً وهو يهمس لي:

" لم تعلم يا ولدي من الرواية إلا ما قالته المرأة.. صدقني لم تسمع من الحكاية إلا نصفها الأول !"

****

ومضت الجميلة تولول:

"لماذا لا ينام حبيبي الا في احضان الزبالة؟"

الحلقة ١٥

"أحقاً تعتقدُ ان ذلك هو الحل يا حبيبي؟ أشمُ فيه رائحةَ الضياع" ..

همست "مريم" في اذن "فوزي" وهما يقفزان خلف الأشجار الكثيفة مروراً بالحقول الممتدة خارج العمران في طريقهما إلى أي مكان بعيد عن القريةِ الظالم أهلها.

****

والحق ان مريام وفوزي يهربان بحبهما ليس للزواج ولكن للطلاق! .. وهي صورة من صور الهروب عجيبةٌ وغيرُ مسبوقة في قرية "ميت نمرس" بمحافظة الدقهلية بالجمهورية العربية المتحدة، وهي القرية المعروفة ببخل أهلها ودلال نسائها مع حفاظهم على التقاليد في آن.

****

الأصل في الاشياء ان يهرب العاشقان كي يتزوجا .. ولكن مريام وفوزي يفران من القرية والدولة والدين والدنيا حتى يتطلقا بعيداً عن قوانين عجيبة تمنع الطلاق التزاماً بالتعاليم ..

والمؤلم ان مريام وفوزي يعلمان ان "من طلقَ امرأتَه إلا لعلةِ الزنا يجعلُها تزنى ومن يتزوج بمطلقةٍ يزني" .. ولذلك ارتأى الزوجان أن لا حل سوى الزنا !!!

الحل هو الزنا والزنا هو الحل .. لا حل الا هو .. أن يفرا خارج القرية لتمارس ميريام الحرام مع فتحي السباك حسب الاتفاق بين الطرفين، على أن يقوم الزوجُ بتصوير العملية الجميلة من أولها وحتى منتهاها، ثم يعود الزوجان إلى مسقط رأسيهما ليقدما دليل الزنا ليفوزَ كلٌ منهما بحريته .. يا محلى الحرية !

****

وفي العشة المعفنة خلف اجران القمح، ووسط روث البهائم، ورائحة بارفان منتن، استعد الثلاثةُ – كلٌ لأداء دوره المرسوم بعناية!

فتحي .. الذكر المُستعار لاحكام التمثيلية، وهو يفكر مرعوباً في الشرط الذي اشترطه عليه الزوج، وهو ألا يستمتع بما يفعل في الزوجة ! فالمسألة كلها مفبركة من اجل التصوير والحصول على الدليل. ليست معاشرةُ رجل وامراة بالمعني المعروف من مقدمات وآهات وخواتيم سحرية .. لا لا لا لا .. فقط مقدماتٌ ثم تصوير ثم ينتهي كلُ شئ فجأة .. لا خواتيم سحرية ولا يحزنون .. وان عشت في الدور يا فتحي، فالعقاب أنك لن تأخذ الاجرَ المُتَفق عليه بين

الطرفين .. لا متعة ولا نشوة ولا طيران في السماء الدنيا ولا العليا يا حبيب قلبي .. انت تقوم بمهمة يا سباك، كما تقوم بعملك كل يوم في فك الحنفيات وإصلاح الكومبنشن وتسريب المياه الزائدة على الحاجة .. احفظ دورك جيداً ..

****

"ولكن لماذا يستأجرني رجلٌ لاعاشر زوجته امامه وهو يصورنا حتى يحصل على الطلاق؟! هذا أمر عجيب. ؟ لماذا فسدت التفاحة؟ ومن أين فسدت؟ وما سر فسادها؟"

ومريام .. الانثى الاستثنائية التي وافقت بمحض ارادتها على المعاشرة الحرام من أجل إعطاء زوجها حريته التي أصر عليها وهدد بالانتحار ان لم يطلقها ليتزوج "توحيدة" حبيبة القلب. وتكاد مريام تفقد عقلها وهي تتساءل: لماذا تحبُ زوجها بجنون، بينما هو يحبُ عشيقته بجنون؟ لماذا لا يكون الجنونُ بينه وبينها هي؟ ما سر الاختلافِ بينها وبين توحيدة؟ لقد درست كلَ تفاصيل جسد توحيدة ، ووصلت الى نتيجة نهائية حاسمة، وهي أن زوجها عبيط، لان كل تضاريسها أحلى من تضاريس توحيدة .. كله كله كله .. حتى ما لا يجب أن يُقال .. لقد درستها قطعة قطعة من اعلى ضفيرة الرأس حتى اظافر القدمين مروراً بكل المناطق والصحاري والسهول والحدائق الغناء ..

"انا اجمل من عشيقته واحلى و...."

هكذا صرخت مريام في اعماقها وهي تؤكد لنفسها ان زوجها اما عبيط او أهبل، وان صنف الرجال رِمَم !

"لماذا فسدت التفاحة؟ ومن أين فسدت؟ وما سر فسادها؟"

****

واخيراً فوزي .. الزوجُ المصور .. وهو واضح مع نفسه، ودوماً ما يردد أنه لا يريد توحيدة بقدر ما يريد الحرية .. وكثيراً ما يستشهد بكلمات حبيبه نزار قباني عن المعشوقة "الحرية":

"فحبيبة قلبك يا ولدي نائمةٌ في قصر مسحور ..

من يطلب يدها ..

من يدنو من سور حديقتها ..

من حاول فك ضفائرها ..

يا ولدي مفقودٌ مفقودٌ مفقودٌ"

ودائماً ما يعزي فوزي نفسه بانه لم يلجأ هو ومريام لهذا الحل الا بعد ان انسدت في وجهه كلُ الطرق للحصول على حقه الإنساني في الطلاق من زوجته التي يحبها - للزواج من اخرى يحبها أيضاً ..

" يا الهي لماذا يحب الرجلُ نساء كثيرة كثيرة؟ لماذا فسدت التفاحة؟ ومن أين فسدت؟ وما سر فسادها؟"

****

وبدأت المسرحية .. وتخلصت ميريام من لباس الحضارة .. وخلع فتحي ثوبَ الشموخ الإنساني .. وامسك فوزي بكاميرا الفيديو وهو يتناسى تعاليم الأرض والسماء.

****

ودقت ساعة العمل الثوري. وظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. ورقت احوالُ الدنيا. وهبت النسائم. وغردت على الايكِ الحمائم. وقالت ميريام هيت لك !

****

ولما دنا الرجل واقترب .. قالت ميريام لفتحي ولفوزي وللكهنوت والرهبوت والملكوت .. قالت وهي ترتدي ملابسها مُجدداً:

"الَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ".

"اخرج يا فتحي، وتعال يا فوزي، واذهبي يا توحيدة الى حالِ سبيلك .. فالذي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ".

وبعد ان عسعس الليلُ وتنفس الصبحُ، شهدت حقولُ القرية رجلاً وامرأة يعودان من حيث العدم الى حيث العدم متعانقين متحاضنين يغمران بعضَهما بالقبلات .. كأنهما ليسا زوجين !

****

والدنيا رقت احوالها ..

الحلقة ١٦

يا حظي الاسود يا حظي الهباب !!!

"حرام حرام حرام .. طول عمري القدر معاندني .. هل هناك امرأة يغلبها النوم اول يوم رمضان قبل الافطار بخمس دقائق ولا تستيقظ إلا بعد الفجر بدقيقتين سواى انا؟! .. هذا ليس حظاً .. انه السواد بعينه .. حرام حرام حرام"

****

زهق الشيخ وانا وكل سكان القرية من ولولة "سحر" بنت العمدة ليل نهار. ولكنها في هذا اليوم كانت مغالية كثيراً، وطلعت فينا القديم والجديد.

" يا ربي لماذا النساء يعشقن النكد؟"

سألتُ الشيخ، وانا احاول الابتعاد عنها، وهي تولول رغم تلصصي على ما تحت ثوبها الشفيف.

"يا ليتها تعطيني فرصة لاستمتع بالفرجة على الكنوز المخبوءة .. ولكن تسقط كلُ الهضاب والانهار والمحيطات التي تحت الثوب بسبب صاحبة الثوب النكدية البشعة" ..

ولمحني الشيخ وانا اكاد ارمي نفسي في نهر النيل بجانبنا وقت الفيضان .. فقال بهدوء وهو يضحك:

"يا سحر اهمدي و اسكتي .. وانت يا ولد لازم تفهم ان النكد الحريمي جزء من قانون الكون وسنة الحياة .. ها ها ها"

ولم تعجبني ضحكات الشيخ، ولا اعجبت كلماتُه سحر الندابة التي واصلت عملها اليومي بكل ضمير!

يا الهي .. كيف يكون كلُ هذا السِحر الانثوي في هذه الـ "سَحَر" ، ثم تفسده تشنجاتها الصباحية وتأوهاتها العصرية وشكاواها المغربية ونحيبها العشائي؟

يا ربي .. كيف يستمتع الرجلُ بامرأة تنام قبل المغرب وتصحو بعد الفجر صائمةً، لتقضي بقية رمضان تعايرنا بحظها العاثر؟

****

وكان المشهد فظيعاً وانا ارى الشيخ يجتهد ليمنع سكان القرية من الرحيل ..

يا الهي ! .. كل أهلنا وناسنا خرجوا عن بكرة ابيهم ومعهم عفشهم ناوين الهجرة وترك القرية للولية النكدية .. ما يصير يا شيخ!

وتهت وسط فيضان الخلق وهم يحملون الدواليب والحلل الالمونيوم والعيال الذين يتبولون أثناء الطريق على اكتاف ابائهم وامهاتهم واجهزة التلفزيون القديمة والمكيفات واللنجيري الحريمي الرهيب والبيجامات الرجالى والحمير وعربات المرسيدس والجمال ..

****

الكل يهاجر تاركاً القرية لي وللشيخ وللمحروسة سحر التي ظلت تولول:

"يا رب .. كلُ الأزواج هجروني. الدورة الشهرية تأتي عند كل النساء خمسة ايام وعندي ٢٨ يوماً !!! .. الرجال لا يكفيهم يومان .. كلهم هجروني .. يا حظي الاسود .. يا حظي الهباب .."

****

الحلقة ١٧

"..... وما قولك يا سعاد في التهمة المنسوبة اليكِ بالجمع بين تسعة ازواج من جنسيات مختلفة – اثنين مصريين وستة أزواج لبنانيين وفرنسي واحد؟ .. الا تعلمين ان القانون يُجَرِمُ جمعَ الأنثى في نفس الفراش بين أزواج من جنسيات مختلفة؟"

كانت كلماتُ القاضي "نخنوخ التغلبي" تخرج من فمه متعجلةً ممزوجةً بالبصاق في وجه المتهمة الشقية التي فضحتنا في كل المحافل الدولية

****

وقاطعه ممثلُ الادعاء مُذَكِراً بان المتهمة خالفت أيضاً النصَ القانوني القاطع الذي يُحَرِمُ اكثار المرأة من الزواج بالرجال اللبنانيين بزعم شياكتهم ورقتهم وحلاوتهم وطلاوتهم، الأمر الذي يمثلُ (في مضمونِ الفعل لا شكلِه) انتقاصاً من مكانة رجال مصر ام الدنيا - وعلى راسهم حسين فهمي وناصر وصباحي وسيد سنجة وغيرهم.

****

واستأذنت المتهمةُ ــ للمرة السادسة ــ في دخول التواليت قبل أن تخرج غاضبة وتصرخ في القاضي:

"لماذا تحللون للرجال ما تحرمونه على النسوان .. كلُ رجل من حقه ان يستمتع بأجساد اربع من النساء، ما عدا المنطقة في جسمها الواقعة ما بين الذقن والعنق .. اما نحن النساء فمكتوبٌ على كلٍ منا أن تستمتعَ برجلٍ واحد مهما كانت رائحته نتنة، أو جيوبه مفلسة، أو اعضاؤه اياها لا تعمل، او امه بنت كلب نكدية، أو .. أو .. أو ..... مجتمع ذكوري بشع!"

****

"ينبغي عليك أن تحافظي على الفاظك في حضرة القاضي نخنوخ، والا سوف احرمك من دخول الحمام واتركك تلبين نداء الطبيعة على نفسك".

كان التهديد حاسماً .. فسكتت سعاد ..

****

وتدخل ممثلُ الادعاء مرة ثانية ليذكرَ القاضي بلُبِ القضية وموضوعِها الرئيسي، وهو ضرورة إجبار المتهمة على تحديد "أبي" ابنتها ــ هل هو

الزوج المصري الاول ام الثاني ام الزوج اللبناني الاول ام الثاني حتى السادس أم الزوج الفرنسي؟

****

ودوت القاعة بسؤال القاضي:

"من هو ابو البنت يا سعاد؟" .. اعترفي .. هذا أمر يتنازع عليه العربُ مع العرب، والعربُ مع الفرنجة، بينما واجب المحكمة هو فض النزاع وتحديد هوية الرجل الذي حملتي منه بابنتك "أمولة التخينة" .. واستدرك القاضي سائلاً وهو يضحك للمرة الاولى:

"ألم تجدي اسماً لابنتك غيرَ أمولة التخينة؟"

ثم عاد يربد ويزبد:

"بوحي باسم ابي البنت امولة التخينة، والا أصدرت حكما بحبسك مدى الحياة .. مَن أبوها؟"

****

وبصوت امتزجت فيه انوثة الاسكندرانية ببخل الدمياطية بالطبيعة العملية للمنايفة بقسوة الصعايدة، أجابت سعاد وهي تزغر للقاضي زغرةً أرهبته:

"أبو سعاد ليس المصري ولا اللبنانيين ولا الفرنسي".

****

وصرخ القاضي:

"من هو إذن؟"

"هو حبيبي الحقيقي"

اجابت سعاد

وفقد القاضي اعصابه:

"من هو إذن يا سعاد؟ من هو ابو امولة التخينة؟"

****

وخرجت سعاد مهرولةً من قاعة المحكمة للمرة السابعة الى التواليت لتلبىَ نداء الطبيعة !

((٧٣))

الحلقة ١٨

كيف يقبل الشيخُ ان تخلعَ زوجةُ شيخِ الغفر زوجَها لتتزوج في نفس اليوم من طبيب القرية – وهي حامل؟

****

أليست عِدة النساء تسعة أيام وربع حسب العُرف المُتعارف عليه منذ قرون؟!

****

ولم تَرُق لنا حججُ الشيخ بأن الزيجة الميمونة الجديدة هي ارادة السماء وبهجة الارض لان من فراش هذا الرجل وهذه المرأة يتوقعُ اهلُ العلم أن تحمل الزوجة في "المهدي" .. يا حلاوة يا حلاوة .. الله الله ..

****

وتذكرنا الحكاياتِ التي ربانا عليها الشيخ صغاراً ..

****

أليس هو المهدي الذي سيعيد الشمس لتشرقَ من المشرق بعد قرون من شروقها من الغرب؟

وهل هو الذي سيملأ الارض محبة وسماحة وشكولاتة، ويعيد التِرس ليركب في التِرس حتى تعود الحياة الى دورتها الجميلة؟

هل ستحمل رباب من بيبرس في المهدي؟ يا رب ارزقنا ..

لن يكون هناك طلاق بل زواج فقط؟

لا جوع بل شَبَعٌ وتخمة طول الوقت؟

وكلُ النساء تصير ذهبيات الشعر سمينات الارداف .. كلُ النساء كلُ النساء؟ يا مَحلى المهدي وسنينه البيض!

****

شدي حيلك يا رباب وانتَ يا بيبرس .. نريد المهدي بعد تسعة ايام لا تسعة اشهر .. خيرُ البر عاجلُه يا عيال ..

****

"وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه" .. وقضى الشيخُ ألا يكون في القرية مليم ولا جنيه حتى يأتي المهدي ويجدَ الدنيا كما كانت على الزيرو!

ممنوع الفلوس. احرقوا الدرهم والدينار ..

ممنوع المنازل .. يبيت الجميع في العراء ..

ممنوع الملابس .. العُري الكامل الرجال .. وللنساء العُري ما عدا مشد الصدر ..

ممنوع الطعام والشراب ومعاشرة النساء .. الصيام واجب حتى ينزل المهدي من رحم رباب ..

ممنوع كل شيء وأي شيء .. ممنوع العيال والبنات والثعالب والحمائم ..

الكون خال ينتظرك يا مهدي .. اولدي يا رباب .. الدنيا تنتظر الولدَ المقدس من الرحمِ المقدس الآتي من النطفةِ المقدسة ..

وقضى الشيخُ بإعدام كلِ من تسولُ له نفسه أن يتقول على رباب ويزعم انها تزوجت بيبرس في نفس يوم طلاقها – وكانت حاملاً ..

الإعدام للجميع .. والاعدام للعدم ..

الحلقة ١٩

كنت أبكي بحرقة السنين وأنا أسأل الشيخ ومعي خلقٌ كثير من الرجال والنسوان

"كيف ولماذا قَتَلَتَهُ؟"

"ولماذا بقرت بطنَه واخرجت احشاءه بهذه الطريقة البشعة؟"

والحق اقول لكم. هو لغز الألغاز بلا جدال. منذ ساعة فقط كنتُ والشيخُ وبعضُ الرفاق نلعب النرد على البطحاء، بينما كان الولد الوسيم "بسام" وحبيبته "صابحة" ذات الشعر المجعد يتبادلان الغرام بغنوجة على بعد أمتار.

كان صوتها الرخيم يرتفع احيانا ويصل الينا وهي تغني له:

"غايب ولا حاضر ولا ناسي قلبي معاك

ظالم ولا حنين ولا قاسي مش هانساك"

وكان الشيخ يلقي بالنرد وهو يضحك وأصوات قبلات البنت تمتزج بغنائها:

"يا أمل بكرة يا احلى ذكرياتي

يا حبيب قلبي يا عمري يا حياتي"

وانفجرت ام الولد الثكلى في البكاء، وهي تشد الشيخ من جلبابه:

"كيف تلعب النرد مع مريديك الصُيَع وتترك الفاجرة تقتل ابني يا شيخ الغبراء؟"

وتتقطع قلوبنا ونحن نرى الأم تلم احشاء ابنها التي اخرجتها الفتاة بسكينها من على قارعة الطريق.

ولاحظت أن الشيخ ما زال يلعب النرد ولم يتوقف. شيش بيش .. دو يك .. العب ولا تخادع .. لا تقرص على الزهر حتى لا يقرصك الشيطان .. ها ها ها ..

ودنوت من الشيخ وملت قليلاً على اذنيه وانا اسأله:

"لماذا يا أبي؟ ألم تكن تغني له وكنا نتغافل عن يديه اللتين كانتا تمرحان في حدائقها؟!

لماذا يا أبي؟

اين ذهب الحب؟

وأين ذهب العيال الذين لم يجيئوا أصلاً؟

لماذا تكسرت قوادمُ الاحلام على صخرة الموت يا أبي؟"

ولم يقل الشيخ سوى جملة واحدة قبل ان يعود الى النرد هو والرفاق:

"ادفنوا الولد قبل غروب الشمس. فالجسد ان لم يُدفَن .. يصبح نتناً .. ولن تطيقوا الرائحة"

شيش بيش .. دو يك .. شيش بيش

الحلقة ٢٠

وكان "الشيخ" معنا ونحن نتحلق حول "شيخه الأكبر"، معلمه واستاذه وقطبه الكبير، وهو يعاني سكرات الموت صبيحة عيد الاضحى لعام ٢٩٩٩ ميلادية. كان الجو بديع والدنيا ربيع وكلُ المواضيع مقفولة ما عدا مشكلة "الحُكم"! .. مَن يجب أن يحكم الناس؟

كنا نعلم أن "الشيخ الأكبر" يحتضر، ولا مشكلة .. فقد اخبرنا بكل الاسرار طوال ١٠٠ عام وعام عاشها في بلادنا الجميلة.

أخبرنا عن جوهر العلاقة بين الرجل والمرأة في دنيا الله، وعلمنا أن القلب لا علاقة له بالحب ولا المعدة ولا المصران الغليظ ، وان الحب يتمحور في عضوين خلقهما الله في الانسان من اجل تعذيبه.

كما عرفنا الشيخ الاكبر قبل أن يموت لماذا تشتعل نار الغرام ليلاً وتخبو لما تشرق الشمس، وفَهَمَنا كيف يمكن للرجل أن يحول التراب الى ذهب، ويسيطر على نكد النساء، وكيف يمكن للمرأة أن تجعل زوجها طفلها، وطليقها ومجنونها، وكيف وكيف وكيف ..

ولكن ها هو الشيخ الاكبر يموتُ قبل ان يقول لنا من الذي يجب أن يكون علينا الحاكم والمليك والسلطان .. وكنا نحاول ان نعرف منه قبل أن يسلم الروحَ لبارئها. وتتوالى عليه أسئلتنا كما الفيضان:

يا شيخنا .. هل يجب أن يكون الحاكم رجلاً ام يمكن ان تحكمنا النساء؟

والشيخ ينظر الينا ويموت رويداً رويداً بلا اجابة ..

وإن حكمتنا — يا شيخنا — النساء، فماذا نفعل اثناء الدورة الشهرية للرئيسة او الملكة؟

والشيخ يتثاءب ويبدو أنه يستعذب الموت و يستلذه ..

ويا شيخنا .. هل يجب أن يكون الحاكم هو الأغنى فينا؟ أم الأقوى بدناً وعافية؟ أم الاكثر وسامة؟ وهل حسين فهمي أجدر بالحكم من سيد بائع الكبدة الذي يقف الذباب على وجهه؟

والشيخ يموت ببطء ولا رد ..

يا عمنا الكبير .. هل يحكمنا الفتوة ام البرمجي ام الكفتجي ام الصايع ام الحكيم ام الفليسوف ام بتاع النسوان ام العاهرة أم شيخ الطريقة ام مدرس اللغة العربية أم طبيب النساء المحترف ام .....؟

والشيخ يلوذ بالصمت ..

يا شيخنا .. أجب .. أجب .. أجب .. أجب ..

ولكن الشيخ يعاندنا وينام على حِجر زوجته الأثيرة .. ما بين نحرها وصدرها .. ويذوب يذوب يذوب ..

يا الهي .. لمن الحُكم في الدنيا، ولمن الأمر في الآخرة ؟

الحلقة ٢١

كان الجيش عائداً تحت قيادتي من ساحة القتال. مهزومين كنا، والخيبة أذيال طويلة نجرها كما تجر الاميرة أذيالها وهي تسير في الخميلة. كنا فقدنا نصف الارض، و٧ ملايين شهيد، فيما سبى العدو نساء المناطق الحدودية واخذ منهن الأبكار واعاد لنا المطلقات والارامل، حوالي ٣ مليون امرأة، فضلاً عن المعدات والاسلحة والعتاد.

****

وكان الشيخ مشغولاً عني مع فرق معالجة الجرحى. وكان سيرنا بطيئاً بسبب قلة الدواب وندرة الماء والطعام. وكنت فقدت نسائي الأربع في المعركة وجواريي كلهن، ولكني احتفظت بتسريحة شعري وكتبي كما هي في خزانتي التي تثقل علي الطريق.

****

وبعثت من ينادي الشيخ حتى يكون بجانبي لحظةَ دخول العاصمة والناس تهتف لنا: " هنحارب. هنحارب .هنحارب. هنحارب هنحارب. هنحارب هنحارب. هنحارب "

سرنا ببطء وسط الجموع حتى وصلنا ساحة القصر. واستأذنت الشيخ أن يلقي كلمة في الناس، فهو أبلغ مني وأوسم وأقصر والناس في بلادي لا يحبون الرجال الطوال.

ورفع الشيخ عقيرته والناس صمت كالقبور: "احبائي. ما هي الا هزيمتنا الخامسة والعشرون. الطريق طويل، والعدو كثير ، والسلاح قليل ووو ..." ..

****

وقاطعته الجماهير صاخبةً: "يا شيخنا .. الله معنا الله معنا" ..

****

واخذني الشيخ ومضى، وهو يرد عليهم - همساً - بجملة لم ترق لي: "لا شأن لكم بالله" ..

****

الحلقة ٢٢

تبدلت الأحوال إلى ما كانت عليه أصلاً قبل ان تتبدل .. وعاد لون السماء أزرق والأرض أسمر ولون عينيها عسلياً والدم أحمر والموت أبيض .. ووُضع الكتابُ وجاء الشيخ ومعه القلم والميزان .. وبدأت وقائع المحاكمة .. وكنت من الشهود ..

****

وقفت المرأة والرجل اللذان قبضنا عليهما يتعاشران خفيةً في البناية المهجورة .. وقفا مهترئين أمام الشيخ .. كانت المرأة تبكي بحرقة والرجل المتهم بارتكاب الفاحشة معها مطرق إلى الارض وفوق كتفيه كل مواجع الدنيا والآخرة ..

****

وقبل أن تنبس المتهمة ببنت شفة تكلم الشيخ بشموخ القضاة سائلاً الحضور الذين قبضوا على الرجل والمرأة متلبسين وملابسهم على الأرض .. سألنا: أين الشهود الأربعة الذين شاهدوا بأعينهم هذا الرجل وهذه المرأة وكان الدلو في الرشا أو القلم في المحبرة؟ ولم يرد أحد ..

****

وأصدر الشيخ حكمه الفوري: حكمنا بجلد الشهود كلهم وسجنهم ولا تقبل منهم شهادة أبدا .. وقضينا ببراءة المرأة والرجل وإطلاق سراحهما على الفور .. رفعت الجلسة ..

****

وهنا صرخت المرأة للشيخ: سيدي هذا الرجل زوجي .. وكان يقبلني في الارض المهجورة لأننا أصلا نعيش فيها بعدما طردنا صاحب الشقة لما عجزنا عن دفع الإيجار شهور طويلة .. والعيب علي زوجي .. كان لازم يمسك نفسه .. نحن بلا مأوى وهو بلا عمل غير انه مازال بتبجح يفكر في القبلات وفي الأحضان ! وقد ضربونا وطردونا من الأرض الخراب .. أيمكن أن تحكم يا سيدي القاضي بعودتنا اليها وأعاهدك أنه لن يلمسني أبداً ؟ أعدك بشرفي لن يلمسني اذا حكمت بعودتنا الى الارض الخراب ..

****

ووضع الشيخ القاضي رأسه في يده وهو يقول: .. كل الأرض خراب .. أذهبي حيث تشائين ..

****

الحلقة ٢٣

ولم يكن هناك حل سوي هذه الطريقة البشعة .. بذلك حكم الشيخُ وقاضي قضاة المدينة .. علي ملكةِ البلاد أن تخلع التاج برهة وتقاتل الخنزير، وبمفردها .. فقد أسفر البلاء الأخير عن إخصاء الرجال .. كل الرجال !

****

نفدت الوسائل واستنفدت كلُ السبل السلمية والعسكرية .. فالخنزير يريد أن يحكم المدينة .. والملكة المتوجة ما عادت قادرة على الدفاع عن العرش والصولجان ،، العيال ،، رزق الناس ،، علف الدواب ،، اجهزة المحمول التي ما عادت تجد الاشارة اللاسلكية ،، وتطبيق جوجل الذي ما عاد يرد على الباحثين ،، والمطر الذي ما عاد ينزل علي الارض ..

****

والحب .. ضاع الحب .. لعنة الخنزير! .. وهل هناك أصلاً حب؟

****

وأعدَ الجنودُ والشيخ والقاضي حلبةَ المنازلة ما بين الملكة والخنزير .. وبدأت جولات المصارعة ..

اووووف .. فظيعة تلك المعركة ما بين امراة وخنزير .. قاسية .. مرة .. لا رحمة .. عض وضرب لكمات وركلات .. وسالت الدماء .. اختلطت دماء الأنثى بالخنزير.. ودماء الخنزير بدماء الانثى .. دماء حمراء قانية .. لا ضيرَ فقد تعودت النساء على خسارة الدماء بصفة دورية !

****

وبدأت عورة المراة تنكشف ،، وعورة الخنزير .. أوف !

****

واختلط الدمُ بالوحل .. والمرأة في وسط الوحل .. والخنزير يعلو المراة ويركبها ويكاد يمتلكها ويمتلك دواخلها !

****

ما ينبغي أن يفعل الخنزير ذلك بالمرأة .. عيب!

****

وصفت السماءُ ورقت الدنيا ،، والجو شاعري .. والمنح والعطاء والـ .. سكر سكر ..

****

واستعر القتالُ ما بينهما في وضح النهار .. وجن الليل .. وطلع الفجر .. وتنسم الصبح جميلاً رقيقاً شفيفاً .. ودارت الأيام ما بين المرأة والخنزير والوحل .. المرأة والوحل والدم والخنزير وسوائل كثيرة تسيل وتمنح الأرض قبحاً وبؤساً ونجاسة !

الله في علاه لم يمنحنا إلا الحق والخير والجمال ..

****

والمرأة تعلو الخنزير وتركبه ،، وتبدل قواعد اللعبة ،، وتعلمه من هي المرأة ؟

****

مَن يعلو مَن؟ خيبتك قوية يا خنزير .. خيبتك قوية رغم ذكورتك الزائفة المنحولة .. والدم والوحل وبقية السوائل منهما تختلط في نهر ابدي دنس !

****

الورد جميل ،، والسماء زرقاء ،، وضحكات الاطفال تروي العطشان وتسلي العاشق المخدوع .. وغنوجة الإناث ،، واشعار الرجال غزلاً في النساء ،، والعيال تنجبها النساء من لمس الرجال ،، وفرحة الصائم حين يفطر ويرتوي من رزق الله ،، والحب .. الحب .. آه من الحب!

وتبقر المرأةُ بطنَ الخنزير ،، تستخرج امعاءه .. وطفقت تأكلها نيئة علامة على النصر ..

****

طبعاً .. ما احلي النصر .. الإنسان ينتصر على الخنزير .. الحق على الباطل .. الخير علي الشر .. الجمال علي القبح !

يا الله .. ما اعظمك .. وما أحلاكِ يا دنيا الله ..

****

الحلقة ٢٤

وتلفت أعصابي وكدت أختنق من الغبار وانا اتابع المشهد أنا والشيخ ..

****

كانت السيارة القوية ذات الدفع الرباعي أحدث موديل تسير بسرعة الصاروخ مليئة برجال ونساء واطفال شقر وصفر ينشدون الموال الجميل:

.. "Long Live Hercules ..Long Live Hercules "

****

وكانوا يتصايحون في حماس يذكرك بحرب المائة عام في أنحاء أوروبا ويرفعون جميعاً علامة النصر وهم منهمكون في شرب الويسكي والفودكا نخب ما يسمونه الحرية والحب .. ويمضون الوقت في القبلات والأحضان .. والغريب أن الرجال والنساء كانوا يتحاضنون بجانب نساء تتحاضن مع نساء ورجال مع رجال في مشهد جميل يعكس حلاوة الحرية وروعة الطريق ..

****

وخلفهم كان الجمل يسير وئيداً مهيباً يعلو ويهبط كما الحظ والنساء .. وعلى ظهره اطفال رجال ونساء يتكلمون بلغة عجيبة يغلب عليها حرف الضاد .. وكان أمرهم عجب العجاب .. كانوا جميعاً يتلذذون باستنشاق رائحة عادم السيارة الأمامية ! وكانت نساؤهم تتطاول بأعناقهن لتراقب راكبات السيارة الأمامية ويقلدنهن في القبلة الفرنسية المجنونة حيث اللسان في اللسان بما يمنح الأمان للإنسان .. ولم يكن أحدهم ينصت للآخر ..

****

وكان بعض راكبات الناقة يرفعن فساتينهن الطويلة لتثبت كل منهن بدلال أن لديها سيقان احلي من نساء السيارة .. وكانوا جميعا يغنون ويرقصون فوق سفينة الصحراء "أمجاد يا رجال أمجاد .. أمجاد يا نسوان أمجاد" ..

****

وكان الجمل يئن تحت وطأة الحمل الثقيل .. فقد كانت اكثرية النساء سمينات من أثر المحشي والنكد الزوجي والرجال مسترخون ثقالاً من وطأة القبلات الفرنسية ..

****

ورغم ان هؤلاء يركبون الشيروكي وأولئك يمتطون الجمل فقد كنا انا والشيخ قادرين علي متابعتهم ولا اعرف كيف !

****

وسألت الشيخ إن كان لديه قطعة علك امضغها قتلاً للسأم .. غير أنه فاجأني بالسؤال: لما يا ولدي لم تركب السيارة او الجمل ؟؟ لما يا ولدي آثرت السكينة؟

****

وأطرقت وانا احاول ان اوضح له ان الفريقين كليهما يرفضاني ..

****

وبقي على مد البصر الطريق طويلاً شاقاً موجعاً مليئاً بالمنحنيات والمفارق والحفر والفتن .. ولكن عزاءنا انا والشيخ أن ركاب السيارة لديهم الدنيا بحلاوتها وسحرها وكثير من البنزين بينما فرسان الجمل واميراته لديهم مخزون من القبلات الفرنسية زاداً للطريق .. وانا معي المعجزة الكبري قطعة العلك ..

وكلنا لدينا الكثير والكثير من الأمل في دنيا الله .. والطريق طويل ..

الحلقة ٢٥

وشرعنا نلعب الاستغماية (الغميضة) في الساحة الكبرى .. فتاة رائعة الجمال سمراء البشرة سوداء الشعر حوراء العين، وانا، وحية سامة طويلة رشيقة تسعى سعياً .. وكان الشيخ يجلس بعيداً يقرأ في كتب الأولين ويضحك ملء شدقيه على شئ لم أدركه ..

****

ولعبنا .. اختبأت أنا من الفتاة وراء الشجرة .. اختبأت منها وكل خلية من خلايا جسمي تتوق إلى معانقتها .. واختبأت الحية مني وراء التل .. وكانت في مخبئها تعد السم الزعاف الذي سوف يغير خارطة جسدي الأسمر بما يضع انفي في قفاي وعيني بين فخذي وقلبي في الصحراء .. واختبأت الفتاة وسط الورد .. وكانت تتلصص علي طول الوقت لتهرب من الورد الي عمق العمق ..

****

وجاء الشيخ غاضباً .. وصرخ فينا .. وأمرنا نحن الثلاثة بالتوقف عن اللعبة الخطرة .. وأعاد الشيخ الموازين كما كانت يوم خلق الله الأرض ومن عليها ..

****

الفتاة وانا في حضن واحد نعمر الكون بنين وبنات يتكاثرون ثم يحارب بعضهم بعضاً ثم يتناسلون ويتقاتلون في دورة عبيثة من الفراش لساحة المعارك للقبور للفراش للمدى البعيد ..

****

أما الحية فقد أخذها الشيخ معه في جولته حول الدنيا لتقوم بمهمتها الكبرى في وعظ الناس وتسليتهم بحكايات مملة عن الوفاء والحب والصدق والملوخية ..

****

ورأيت الشيخ والحية في الأفق الشمسي وخلفهما الإنسان .. كلاهما مخلص في أداء مهمته .. والدنيا حلوة .. والمدى بعيد .. والله غالب على أمره ..

****

الحلقة ٢٦

وكان الشيخ يتحدث مع فتاة بيضاء مليحة حوراء .. ويرفع كل منهما صوته ويخفضه غير مهتمين بوجودي عن يمينهما ..

****

كانت تشكو إليه مر الشكوى من ظلم الرجال فى القرن الواحد والعشرين .. الأب والأخ والخطيب والزوج وحتى الابن .. وكانت تؤكد له أنه مجتمع ذكوري من رأسه حتي قدميه ..

****

وكان الشيخ منصتاً جيداً قبل أن يسألها:

هل الرجال هؤلاء -- الأب والزوج والخطيب والابن وغيرهم -- يعيشون سعداء مرتاحين في مدينة فاضلة ينعم فيها الرجال وتشقى المرأة أم ان الكل في الهم سواء -- هَم الفقر او هَم المرض او هَم الظلم ؟

****

ولم ترد عليه الفتاة وأطرقت برأسها .. وكان اسمها مهدية ..

وسمعت الشيخ يقول لها ان الحق لما يسود في الدنيا تنعم به النساء قبل الرجال .. ولما يعم الظلم والفساد يتظالم الجميع وتصبح الحياة مرة للكافة ..

****

وناداني الشيخ وسألها أتقبل بي زوجاً بديلاً للرجل الذي ظلمها وطلقها وسرق منها العفش وأدوات الماكياج ومخرطة الملوخية ؟ .. وغاظني أنه لم يستشرني هل أقبل الزواج منها أم لا وخصوصاً أنها ليست سمراء كما أهوى ..

****

وردت الفتاة بحسم:

""آسفة .. لا يروق لي ذلك الرجل ثقيل الدم كبير الكِرش .. هو انا ناقصة؟!"

****

وتركها الشيخ ضاحكاً .. ومضى معي يطيب خاطري وهو يهمس في حكمة أغاظتني:

"حقها .. لا يشاركها الفراش إلا من يروق لها .. هكذا قضى الله"

الحلقة ٢٧

بصراحة زهقت. لا شأن لي بهذه الأمور النسائية. فاليومُ هو للاسف يوم النساء الذي يخصصه الشيخ للجلوس معهن ومحاولة حل مشكلاتهن المتكررة المملة التي اسمعها كل اسبوع وحفظتها كما الفاتحة.

****

لماذا يصرُ الشيخُ علي حضوري هذه الجلسات الرتيبة مع تلك النساء البائسات؟ وما هو ذنبي لاسمع كل اسبوع عشرات الحكايات عن الست التي لا يُقَبِلُها زوجها ويقعُ عليها كالبغل. عنه ما قبَلَ أمها! ولماذا انصتُ للاسطورة المتكررة عن النساء اللاتي يبكين من سرعة انتهاء الرجال من المسألة الغرامية الفراشية قبل أن يبدأن هن في الدخول في الأجواء. عنهن ما دخلن ! .. او الحكايات المملة عن الزوجات اللاتي يستيقظن ليلاً علي هسيس الرجال والخادمات في غرف الخادمات،، او عن الرجال الغادرين، والرجال الخائنين والرجال الذين خرموا التعريفة. مالي أنا وهذا الهراء ؟! ولكن حكاية أميرة في ذلك اليوم كانت مختلفة.

****

اسمها ((أميرة)) وهي فعلاً اميرة في شعرها المَلَكي، وجبهتها العربية الأبية، ونحرها الزرافي، وصدرها الشامخ كما برج ايفل الذي سمعت انه برج كبير في اسطنبول، ناهيك عن أشياء أخرى لعل الصمت عنها خير. وكانت اميرة تتحدث للشيخ وهي تنظر للارض. حكايتها عسيرة وطويلة وقاسية وغير مقنعة. كيف؟ كيف؟ كيف؟ كيف فعل بها الرجال كلَ هذه الجرائم وهم ازواجها؟!

****

كانت في مختتم الحديث تشكو أنها ما زالت في حاجة للرجال رغم كل ما حدث، وأنها لا تنام ولا يخالطها النعاس بدون رفيق في الفراش، إذ تخاف من الظلام واشياء اخرى.

****

وكان الشيخ متعاطفاً ويهمس بأن الزواج ما زال حلالاً ومحموداً رغم ما فعله كل الرجال الذين عاشرتهم، ورغم أن سوء الحظ خطف منها ثلاثة رجال معقولين واحد مات بمرض تقول أمه أن عدواه كان منها، والآخر مات من فرط حبه، والثالث مفقود حتى الآن.

****

وذكرت أميرة للشيخ أن الأزواج الخمسة الاواخر لم تخترهم هي بل كانوا من اختياره هو. واعتذر الشيخ كثيراً ولكنه ذكرها انها اختارت حوالي عشرة رجال قبلهم جننوها او جننتهم !.

****

ولكنها أكدت انها لا تنام ولا تنعس بلا رجل في قلبها وفراشها ودنياها .. ونظر الشيخ ناحيتي ونظرت اميرة. وتمتم الشيخ انها سنة الحياة. سنة الحياة؟

****

ودار في ذهني في لحظة شريط سينمائي يظهر كل الازواج الذين ناموا في فراشها وهلكوا وإن اختلفت أسباب الوفاة .. وكدت أقول لا .. ولكن نظرة الى عينيها واجزاء اخرى من كيانها الشبيه بالمهلبية جعلني أهمس في أذن الشيخ:

"هي موتة ولا اتنين؟!"

الحلقة ٢٨

ناصع البياض كان لون المشهد كما الثلج والعدم. وحزيناً كنت أنا، والشيخ، والشابُ الأخرق الجالس أمامنا وبيده كل الاسلحة والمولوتوف وادوات القتل والسحل والتدمير. حزانى كنا، انا وهو، والكون، والقاتل والمقتول، والحامل والجنين في رحمها وابوه. والدنيا تلتف وتلفنا بكفن أبيض.

****

كان الشاب يلوح بغضب مشيراً الي البيت القائم علي بعد امتار منا، والذي أنشأه حديثاً كبيرُ مُترَفي القرية مخصصاً الطابقَ الأول لسهراته كل ليلة هو واصدقائه الأسوياء جنسياً مع بنات الهوى رقصاً ولهواً ، والطابق الثاني لسهرات اصدقائه ، من أهل القرية والقرى المجاورة، من السحاقيات والذكور الشواذ والمتحولين جنسياً.

****

كان الشاب منذ خمس ساعات يجتهد في إقناع الشيخ بأن يعطيه الأذنَ بأن يحرق عليهم دارهم ليخلص القرية من الفحش والرجس وعمل الشيطان. وتعبت وسئمت والشيخ يشرح له طوال الليل ان الله لم يأمر لوطاً بأن يجعل

عاليَ القرية النجسةِ سافلَها، بل أمره ان يسير مع اهله بقطعٍ من الليل ولا ينظر خلفه، ثم ارسل اللهُ عليهم بنفسه وذاته العلية مطراً من حجارة قصفت أعمارهم .. وصرخ الشاب: وهل نستدعي اللهَ ليحرق بيتَ الفجرة؟ فرد الشيخ: إن الحكومة التي اختارها الشعب هي التي تنوبُ عن الله في إحقاق الحق، وليس الفرد .. المجتمع وليس الفرد .. وإلا فهي الفوضى .. الضياع .. الوحشية والتوحش .. وبصق الشابُ على الأرض قرفاً ..

****

و تدخلت في الحوار إحدى النساء، وكانت تعمل خادمة في بيت الهوى، وطفقت تحكي كيف تعاشرُ النساءُ النساءَ في الطابق الثاني، عشرين امراة في جنسِ جماعى يغضبُ الله ويهز عرشه على حد قولها، وكيف يلوط الرجالُ مع الولدان، وكيف ... وقاطعها الشيخُ لما رآني افرغُ ما في معدتي ..

****

وحسم الشيخُ الأمر بحدة: "الفرد ليس مسئولاً عن تنفيذ القانون ان كان هناك قانون .. فمتى أخذ الفردُ الحقَ بيده، يصير الحقُ متلوناً بهواه .. يصيرُ الحق كما الحرباء .. والحق لا يتلون .. وما ينبغي له .. قُضي الامرُ الذي فيه

تستفتون" .. وانفض الجمعُ ودخل الشيخ غرفته ليأخذ قسطاً من الراحة .. ولما استفقت اخذت اغازل الفتاة الخادمة بقصيدة غير عفيفة.

ولكنا صحونا بعد ساعات على صوت النار وهي تشتعل في القرية. كان الشاب قد ضرب بكلام الشيخ عرض الحائط ومضى ورفاقه ليحرقوا بيتَ النجاسة .. يا الله .. الزرع والضرع والبهائم تحترق. والرجال تهرول والنساء تفر والولدان .. والموت والنار لا يفرق بين زان وقديس ولا بين لوطي وسوي او بين سحاقية ومصلية علي السجادة .. يا الله .. النار تأكل العشَ والقشَ والسنبلة !

وساءلت نفسي وانا اهرب بجلدي ومعي خلق كثير اسئلة كثيرة: لِمَ خلقَ اللهُ هذا الرجس أصلاً؟ ولِمَ أخرجنا من جنة الرضوان؟ وسمعني الشيخ وأجاب بقرف: "اسأل اباك وامك" .. ورغم سواد الدخان والنار الذي غطي القرية، ما زالت الدنيا بيضاء مثل الكفن والثلج والشيب والعدم .. دنيا الله ..

وظلت كلمات الشيخ ترن في أذني:

"اسأل أباك وأمك" !

الحلقة ٢٩

وأخذني الشيخ إلى صحراء واسعة .. تشم فيها عبق التاريخ وتسمع صدى كلمات المسيح، وقعقعة السيوف العربية في مرج دابق والريدانية، وأذان الأقصى .. كما تشعر برائحة الخيانة ..

****

يا ربي .. كل هذه خيانة؟ .. خيانة في بغداد وفي دمشق وفي قصور الثقافة ومحلات الجزارة ومطابخ الفنادق واروقة الاجتماعات ومحلات العسل وغرف النوم !

****

سألته أين نحن؟ .. هل ضللت الطريق؟

****

قال: انت كنت ضالاً ووجدت الطريق .. انت ما بين النيل والفرات ..

****

فنظر الشيخ إلى المدى .. ونصحني ألا نحقق حلمهم ..

****

قلت له إنا أصبحنا نحبهم .. واني وقعت في غرام بنت منهم اسمها باتريشيا متأثراً بسحر عيونها واشياء اخري. واوضحت اننا نكاد نحث عيالنا على الوقوع في غرامهم .. ولكنه رد علي سخريتي بنظرة قاتلة ..

****

قال: يا ولدي .. الأرض مثل عِرض أمك .. فهل تساوم على عِرض أمك؟

****

وتركني وهو يتمتم باحتقار: أنتم تلعبون بالنار .. تتصورون أيها العبط أنكم سوف تقضون مع الشيطان شهرَ عسل ..

****

سوف تذوقون فعلاً طعم العسل !!!

سوف تذوقون فعلاً طعم العسل !!!

.سوف تذوقون فعلاً طعم العسل !!!

.سوف تذوقون فعلاً طعم العسل !!!

سوف تذوقون فعلاً طعم العسل !!!

****

ومضى قبل أن أسأله لماذا نخون؟؟؟ وهل ثمة ما يستحق الخيانة؟؟؟؟

****

الحلقة ٣٠

كما مشاهد القيامة بأسفار الكتب المقدسة، أو إحدى مسرحيات اللامعقول لصامويل بيكيت، او قاع الجحيم في كوميديا دانتي الالهية.

****

كان الشيخ يقف والخلق أمامه بالمئات، نساء وأطفالا ورجالا، وبجانبه ممثل العدو. بيده نسخة من الاتفاقية، وهو وممثل العدو مشغولان بتنفيذ بنود معاهدة الاستسلام التي وقعتها القرية بعد الهزيمة. حرفاً حرفاً. بنداً بنداً.

****

المعاهدة عادلة بمقاييس زمانها. أن يتم ذبح الرجال، او بالاحري الذكور البالغين، بعد السماح لهم بالاغتسال من جنابة الهزيمة، مع ترك جثثهم للطيور المقدسة. أما النساء فيُسَلَمن للجنود الاشاوس لاغتصابهن، رغم ان الاتفاقية استبدلت عبارة الاغتصاب بعبارة "ممارسة الحب".

****

وكان مشهد الشيخ وممثل العدو وهما يقرآن نصوص الاتفاقية كل مرة قبل ذبح كل رجل واغتصاب كل انثى مشهداً بائساَ. مع كل ذبيحة، ومع كل انثي سليبة، يجب قراءة النص بصوت جهوري. ملل!

****

وقبل تسليمها صرخت إحدى الفتيات القمرات في وجه الشيخ: "بئس الاتفاقية. أتسلمون لهم أرواح الرجال وأعراض النساء؟". رد الشيخ بثقة: "ذلك مقابل أن يتركوا لنا الأرض. الأرض أهم يا بُنَيَتي".

****

وتوقف الذبح بسبب خلاف حول غُسل الرجال قبل الذبح. فالمياه شحيحة. والأبار كلها غارت. والانهار جف معظمها. كما احتدم الخلاف حول النص العجيب الذي يقضي باغتصاب النساء دونما خلع ملابسهن. فقد تذمر الجنود الفائزون ونادوا بحقهن في تعرية النساء. ولكن الشيخ أشار الى وضوح النص في الاتفاقية المجيدة وقرأه مراراً: " ... علي ألا يقوم الجنود بخلع ملابس نساء القرية والاكتفاء بخلع القطعة الوردية الاخيرة بما يفي بالغرض".

****

وهمستُ للشيخ: "اما كان ينبغي أن نكتفي بذبح الرجال؟ لماذا قبلتم بالدَنية؟" .. رد الشيخ: "حتى ننقذَ الأرض". الرجال يمكن تعويضهم والنساء. الأرض يا وليدي"

الدماء كريهة الرائحة لما تسيل انهارا انهاراً. ومئات الجثث ملقاة بلا رؤوس. لا نعلم أين ذهب السياف برؤوس الرجال. والنساء مستلقيات في طرقات القرية على بطونهن بعد ان مارس الجنود الحب معهن كاسياتٍ لا عاريات، والقطع الاخيرة من ملابسهن الداخلية القطنية مطروحة فوق بعضها بما صنع في الأفق جبلاً من الانوثة الطاغية. والشيخ يؤكد لكل سائليه وكافة منتقديه ان الهزيمة مُرة ويجب التسليم بعواقبها، ولكنما يكفيه فخراً ان حافظ على الأرض. الأرض مقدسة.

واستعلمت من الشيخ عن دوري في الذبح، قبل أن استأذنه في البحث عن جثث الرفاق ولملمة ما تبقى من أجساد النساء. ومضيت في الطريق وانا احمدُ الله، واشكرُ الشيخ، علي نعمةِ الارض. فالارضُ هي أصل الذكور والإناث والشواذ والسحاقيات و المخنثين والمخنثات ، والمؤمنين والمؤمنات .. الأحياء منهم والأموات.

الحلقة ٣١

والتف الجميع على شاطئ الفرات من الجانبين وفوق الجسور المهترئة. أول مرة في حياتي التي امتدت من النكسة إلى سقوط الربيع اري العرب كما حبات الرمل على ضفتي النهر. رجال ونساء وولدان. حسب الميعاد يا حبيبي !

****

باستثناء رجل واحد فقط، هو الشيخ، كان العرب قد اتفقوا على أن الحل هو الانتحار الجماعي، وذلك في جلستهم الموسعة التي انعقدت في يناير الماضي محددة شهر يونيو موعدا للتنفيذ علي ضفاف النهر الشاهد علي تاريخنا المجيد وجغرافيتنا البائسة . .

****

وخلال الفترة من يناير إلى يونيو جرت في نهر يعرب مياه غزيرة، اذ هرب الحكام جميعا حتي لا ينتحرون مع الشعوب، وفر معهم كبار التجار ورجال الاعمال وصاحبات محلات الكوافير ومعظم أهل المغنى والرقص والطرب واصحاب محلات الكباب وكل الناصريين والبعثيين وبائعات الهوى العربيات والسماسرة ومدرسي التربية الدينية ومعظم الشاعرات والمفكرين وأرباب القلم

.. وتبقي ٣٠٠ مليون عربي مصممين على قتل أنفسهم حلا لمشكلاتهم ومشكلات العالم واعتقادًا خاطئا منهم بأن السم في الدسم وان تحت تنورات النساء لا يوجد شئ!

****

وبصراحة تعمدت كمصري أن اندس بين جمع رهيب من الجميلات حتي اموت معهن حسب الوعي الجمعي المصري الذي يتهم المراة المصرية بالنكد وغير المصرية بالنعمة والاقبال على الحياة .. قلت في نفسي طالما لم اتزوج غير المصريات ولم أذق حلاوتهن فلا بأس أن انتحر معهن!

****

ونفخ في الصور و دقت النواقيس والنوافير. يا الله ! مطر من الرجال العرب والنساء والعيال كل منهم يربط حجراً علي جسده ويلقي بنفسه في النهر ثم يختفي كأن لم يك شيئا .. يا الله .. يا الله ..

****

وألقت النسوة الجميلات حولي بأنفسهن في الماء. يا الله .. ولمحت في الماء كل العرب توانسة ومغاربة ومصريين ووووو شيعة وسنة وأكراد وبهائيين من بكر (قبيلتي) وتغلب ومضر وعبس وذبيان.

****

ما هذا؟ .. ألا يجتمع الامازيج مع البوليساريو مع العلويين مع الزيدية مع السنة مع كل الملل الا جثثاً فوق سطح الماء ؟!

****

يا ربي رحمتك ! ملايين الخلق يموتون أمامي. وما هذا الجبن الذي يلف كياني؟

****

ولماذا تنظر الي هذه الفتاة البعيدة ولا تنتحر مثل بقية الناس؟! هي أقل نسوان العرب جمالا وانوثة ..

****

هلكت النساء الجميلة ولم يتبقَ إلا هذه الفتاة التي تخاصم الجمال والانوثة؟!

انتحري يا شيخة ! .. آه من الجبن!

((١١٢))

وهدأت الدنيا. واختفى خلق الله. لا صوت صلاة ولا بكاء طفل ولا مزاح صديق ولا سحر انثى .. خطف الفرات كل شئ . .

****

أحقا ما قال سليمان النبي عن باطل الأباطيل كقبض الريح؟

****

وسألت الفتاة المتبقية من الخلق .. يا بنتي أحقا لا منفعة تحت الشمس؟ .

قالت الفتاة: انا لست ابنتك وما ينبغي لي!

وأمسكت بيدي ومضينا بعيدا عن نهر الموت وأنا أسألها: ماذا بعد يا ابنتي؟ .. وهي ترد منزعجة: لم يعد في دنيا الله سوانا. وانا لست ابنتك وما ينبغي لي !

****

ولما لاحظت خجلي صرخت ببجاحة:

"من يخجل من ابنة عمه لن ينجب منها عيال .. لم يعد في الدنيا سوانا .. انجز"

الحلقة ٣٢

على احد الجسور الخشبية فوق نهر دجلة قريباً من البوابة الشرقية لأبناء إسماعيل.

في الطرف الأيمن من الجسر تصدمنا فتاةٌ عربية دميمة تحاول أن تلقي بنفسها في المياه انتقاماً من غدر الحبيب (لعل الله أنقذه منها !)، والناس حولها جموع.

****

وعلى الطرف الاخر من الجسر، ومن الدنيا، شاب وسيم كالقمر يفعل نفس الشئ لان حبيبته التي سافر ليجمع لها المهر .. عاد فوجدها - يا عين امه ! - في حضن رجل آخر وعلى حجرها طفلان منه. وحول الشاب خلق كثير.

كلاهما مصر أن يختتم رحلة الحياة، التي بدأت وسط الماء، في رحم الأم، بالقفز في رحم العم دجلة.

مضيت إلى الشيخ الواقف وسط الجسر يتسلى بلعب النرد مع نفسه. سألته التدخل، فحدثني بأسى عن المغول زمان زمان لما ألقوا بكتب العرب في النهر.

وتوسلت اليه ان ينقذ الشاب والفتاة على طرفي الجسر. القي بالنرد بعيدا. ٦-١. شيش يك !

****

ولما صممت نصحني ضاحكاً ان اقدم للبنت قطعة شوكولاتة، وللشاب سيجارة، أو نتركهما يلقيان بنفسيهما في الماء لعلهما يتعلمان العوم ويفهمان قواعد الحياة على حد قوله.

****

ما أقساك يا شيخنا وأنت تلقي بالنرد مجدداً. ٦-٥. شيش بيش.

****

ومضيت بعيداً إلى الشاب مرة والفتاة مرة وأنا أدندن بالأغنية المصرية العظيمة لاحمد عدوية: " ألعب لك شيش بيش .. تلعب لي دو يك .. ما بلاش لعب الدراويش .. عقدتنا لازم تنفك .. العب .. العب .. العبببببببببببب !"

****

الحلقة ٣٣

صادم ان تستيقظ من نومك وتنظر لأعلى فلا تجد السماء!

****

لا زرقتًها تغمرُ عينيك ،، ولا النجوم التي أقسم الله بمواقعها ،، ولا القمر الذي طالما تغنى به العشاق العرب وهبط على أرضه العشاق الأمريكيون بالعلم والمعرفة ..

****

قاس أن تصحو فلا تجد تحتك أرضاً بل سائلاً هلامياً رخواً تفوح منه رائحة تذكر بخليط افرازات المرأة بعرق الرجل ساعة التجلي ـ ورائحة فساد السمك ،، وسقوط الإنسان في بئر الأنا الحلوة ..

****

لا سماء ولا أرض .. فأين نحن إذاً ؟ .. ولا توجد "نحن" فليس هناك الا "انا" .. ليس الا الأنا المتفردة المتميزة الخاصة الخصوصية بلا خلفية كونية ولا مقدمة أو خاتمة أو شكل أو محتوى.

هل انا محض فراغ في فراغ في فراغ ؟

****

وحاولت أن أتذكر اسمي ..

****

يا مصيبة سوداء .. حدث ما حدث منذ سنوات لما ذقت أول قبلة حريمي ..
نسيت اسمي ! ولكن الآن بدون قبلات ولا نساء ..

****

لست نقطة في بحر العدم .. انا العدم نفسه ..

****

وأين الشيخ؟ أين الرفيق؟ أين الحبيبة والزوجة والعيال والأحفاد أولاد الكلب ؟
أين اللمسة والهمسة والنكد اليومي والبؤس وغياب الحرية وطبق الكسكس
المصري او التونسي او المغربي الأصيل ؟ وأين الأحزاب ؟ لا يوجد حزب الله

ولا حزب الشيطان ولا حزب الراقصة دينا ولا هندية البرجوازية ولا اي شئ سوي الفراغ يخرج لي لساناً من فراغ ..

****

وشعرت لأول مرة بقيمة الرفقة وحلاوة الستات .. يخرب بيت أم الستات!

****

وأحسست ان ان ان ..... ولكن ما هو اسمي؟ اذكر ان امي كانت تناديني باسم ما ... وكان ابي يناديني باسم آخر .. وكانت زوجتي ..... أي زوجة فيهن ؟ هل كل النسوة اللاتي اذكرهم (أسف اذكرهن نُون النسوة) كن زوجاتي؟؟؟ أم البنت النحيفة السمراء .. لا لا .. لم تكن زوجتي .. كانت أعتقد أنها ... وما معنى الزواج؟ .. ولما الزواج بالإناث تحديداً ؟ وما معنى الأنوثة؟ وما سر السكر الذي فيها؟!

****

ولماذا ضاعت النساء مني ،، وأين ذهب الرجال أصدقائي وأعدائي وموظفو البلدية .. وأين مدرس الفلسفة الذي كاد يصفعني لما قلت له ان الفيلسوف الألماني هيجل صاحب المتناقضات هو رجل متناقض ..

وأين الاستاذة فلورا مدرسة الجغرافيا التي كانت تترك لي الحصة لأشرح الدرس للطلاب وتعطيني قبلة ولم تكن تعلم أني أسهر الليل اقرأ عن تضاريس العرب وحدودهم انتظاراً للقبلة التي ضاعت لما كبرت ولم تعد هناك جغرافيا لنا ولا تاريخ ..

****

وأين الهواء والصحراء وشاطئ دجلة والفرات والنيل وشوارع تونس والدار البيضاء واسطنبول ومكة ودمشق وجبال بيروت وكل الأماكن التي عشت فيها ؟

****

وسرت وحدي فريداً شريداً وحيداً متميزاً لا صنو لي ولا نسخة اخرى على أي كمبيوتر أو ذاكرة ..

****

هل أنا الوجود والوجود أنا؟ هل انا القانون والمتهم وممثل الادعاء والقاضي والجلاد؟ هل انا القشرة واللب؟ هل انا الذكر وبداخلي الأنثى؟ أين الله؟ أين الله ؟ هل للكون اله؟ أين الله؟

والعجيب أنني كنت اهمس بلا صراخ:

"أين الشيخ؟ أدركني .. لقد سرقوا الدنيا وسرقوا القمر .. سرقوا القمر"

****

ولم يرد علي احد .. لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم ؟ لمن الملك اليوم؟؟

****

الحلقة ٣٤

ولمحت الشيخ وحيداً يستلقي في ظل الصفصافة بين المدرسة والمسجد علي اليمين من حقل القمح .. وتسللت إليه أنا وحبيبتي ((روسلين)) حتى استأذنه ليزوجني منها قبل أن تغلبنا الشيخوخة انا وروسلين وهو والبلدة والكون .. كنت اعلم انه سيسألني عن معنى اسم حبيبتي،، وكنت اترقب كيف سيشرق وجهه الجميل لما أخبره ان روسلين - عمري وحياتي - تعني ((الشمس قبيل الغروب)). وكنت متأكداً انه لن يغضب فهو غير متعصب للمرأة العربية عموماً، وللمصرية خصوصاً، فقد طلق منهن تسعة عشر!

****

ولم يجبني لما استأذنته بل طفق يقرأ سورة يوسف .. واستمعنا له .. روسلين وانا ..

****

ولما انتهي سألني بسخرية: ألم تلحظ أن أجدادك لما تبينوا براءةَ النبي يوسف قرروا أن يضعوه في السجن ؟ .. وأخذ يتلو "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين" ..

وصرخ الشيخ في وجهي كأني انا المسؤول عن سجن النبي يوسف:

"هي وصمة عار في تاريخكم القديم سجلها الله عليكم في كتابه .. حاولوا ألا تتكرر في تاريخكم الحديث .."

****

وفزعت روسلين وهمست لي بأن هذا الرجل يرعبها وطلبت العودة الى الاستانة ..

****

ولكن الشيخ تركنا ومضي وهو يردد: "العدل .. العدل او العدم .. العدل العدل العدل ..."

****

وتمنيت لو يسكت .. فقد كان صوته يرج كل شئ حولي .. المنازل والمدارس والمطاحن ومحلات الكوافير والمحاكم والنوادي الرياضية .. ولكن الطريف أن الفزع جعل روسلين تحضنني بقوة .. واو !

****

كان صوته يتردد من كل مكان .. ترددده العصافير والدواجن المنزلية والبنات ذوات الضفائر المرخية والشبان ذوو السواعد والشعراء والراقصات في الفرق الوطنية و بائعو الفول والطعمية والقوادون وبنات الهوى والطبيبات والقاتلات والمجرمون والقابلات وبائعات المهلبية .. وظلت روسلين مرعوبة منه وفي حضني ..

****

وسمعت الكون يردد مع الشيخ: العدل او العدم .. العدل العدل ..

****

ولم أتحمل رجع الصوت .. فقدت الوعي .. ومثل الأكثرية من ناس بلادي فقدت معه الضمير ثم الحرية .. ثم طبق المهلبية .. يا حسرتاه على طبق المهلبية !!!

****

حسبك يا شيخنا .. حرام عليك .. حرام عليك .. وهو يردد: العدل العدل ..

****

اين روسلين؟ أين الشمس قبل الغروب ؟ اين روسلين؟

((١٢٣))

العدل العدل .. اين روسلين؟ ..

العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟

العدل؟؟ روسلين؟ .. العدل؟؟ روسلين؟

****

الحلقة ٣٥

صاخباً كان كل شئ مستفزاً للحواس مثيراً في حفل الزفاف المُقام على قارعة الطريق في الساحة الممتدة عبر الزمان .. ما عدا صمت الشيخ .. المزامير والنايات والدفوف وصراخ الأطفال وغناء النسوان ورقصهن ،، والجميل كان صليل سيوف الرجال وهم يرقصون الرقصة العربية الشهيرة .. والشيخ ساكت كما الحب من طرف واحد ..

****

استخفني الوجد، و أذابت الموسيقي الصاخبة خجلي، فتهت وسط الجموع الذين كانوا وكن يتمايلون ويتغنجن حول العريس والعروس ويتبادلون النكات والاحضان والقرصات الخبيثة في الأفخاذ ويتعاطون القبلات والصراخ البدائي الأحمر احتفالا بالزفاف الميمون .. قبل أن تبدأ الفقرة الاخيرة التي اصفر لها وجه العروس ، واحمر وجه العريس ، واسودت بقية الوجوه ..

****

عادة غريبة لبلد أغرب في دنيا اكثر عجباً .. ولكنها التقاليد ولابد أن .. أن .. وظل الشيخ صامتاً كالبحر قبل العاصفة ..

وبدأت العروس تنزع عنها ملابسها الخارجية والداخلية قطعة قطعة، والناس كلهم في دائرة مفرغة حولها هي وزوجها الهمام .. والدنيا صافية،،، وأرض الميعاد علي بعد امتار من ساقي العروس المثيرتين ..

****

بهدوء خلعت العروس الفاتنة غطاء الرأس أولاً وسط هتاف البشر المدوي "الله الله .. آه آه .. الحلوة اتكلمت !".. وواصلت الفتاة الخلع ثم الخلع ثم الخلع .. قطعة قطعة .. والشيخ صامت يفكر ويفكر ..

****

ولكن قد تأتي بعض الرياح بما لا تشتهي سفنُ الوطن وزوارقه .. فحمالة الصدر مًحكمة مشدودة بشرف حول صدر العروس ترفض السقوط .. والعريس يحاول أن ينزعها بيديه .. لم تسقط .. بيديه وقدميه معاً .. لم تسقط .. بجماع قوته التي يدخرها لعروسه. لا فائدة. وشَرَعَ كلُ واحد وواحدة من المدعوين يجتهد ويعبث في نهدي العروس ليسقط حمالة الصدر بلا جدوي .. والشيخُ صامت كما الحق.

****

وهنا علا صراخ النسوة، ومنهن امرأة فاتنة كان اسمها "ولادة" أخذت تهتف: "ليس يهم.. اتركوا عليها حمالة الصدر، ودعوها تواصل نزع ملابسها .. آه آه .. سئمنا .. يخرب بيت السوتيان وسنينه .. أهو مغزول من صخر؟!" ..

****

واستحسن الجمهور الواعي اقتراح المرأة الجميلة ..

****

ومضت العروس تخلع ملابسها وسط الهتاف بالإخاء والحرية والمساواة والحب للوطن والبلد والأقليم والمنطقة .. بينما كان الأطفال يهتفون للغد القادم المشرق، والنساء يهتفن لخير البشرية والملوخية، والعروسُ تخلعً ملابسها رويداً رويداً كاشفةً عن لحمها الطري وعظامها اللينة وقدِها الساحر .. والشيخ مطرق وصامت . وكان العريس ما زال يحاول نزع حمالة الصدر .. والرجل العجوز صامت كما زوج عربي في حضرة زوجته !

****

وماج الجمعُ وامتزج رجالا ونساء وعيالاً في متعة وهيام وبغددة .. كان كل منهم، سَوي او شاذ، يحلم بما ستكشف عنه قطعة الملابس الداخلية الاخيرة،

ويتصور شكل ما تحتها ولونه ورائحته، بينما كانت العروس مستغرقة في التأمل في معنى العورة؟ ما هي؟ أهي ما يقع تحت قطعتها الأخيرة من سنتيمترات من اللحم القاني؟ ام هي ما يقع بين السرة والركبة؟ أم هي الحلم الواقع بين النيل والفرات؟ أم هي الثديان اللذان أبيا أن ينفضحا؟ أم هي منطقة أخرى في جسدها اللدن يعشقها الرجالُ والنساء بجنون ساعة الانحراف والتجلي؟ ام العورة هي الصمت؟ ام التجلي؟ أم العورة هي الارض؟ أم هي الأشجار لما تتخلى عن ثمارها؟ وهل العورة في الرائي أم المرأي؟ في النفس أو في الروح؟ في النساء أم الرجال؟ وهل العورة لحم ام عظام؟ وهل لونها أحمر قان ام أسود كالغراب؟

****

ووصلت العروس في نهاية الرحلة الطويلة إلى القطعة الاخيرة من ملابسها .. قطعة صغيرة شفيفة ومتمردة .. وخفتت الأصوات .. لا صوت الا صوت المعركة وصوت الملحمة وصوت الحكاية اللذيذة لذاذة السكر ..

****

وللحق لم يسجل تاريخُ البلدة حتى الآن تفسيراً لتوالي الأحداث، فالأسئلة كثيرة .. لماذا سكتَ الخلقُ جميعاً ينظرون وهي تبني قواعد المجد وحدها وتمد بجنون

((١٢٨))

اصابعها الرشيقة لتنزع القطعة الاخيرة والحاسمة والصادمة التي تستر المنطقة الاخيرة من الأرض الخصبة؟ لماذا صارت الأجواء جنائزية؟ لماذا كف الأطفال عن البكاء، والنسوان عن الضحك الغنوج، والفتيان عن قرص اوراك البنات وسط الزحام؟ ولماذا كانت العروس تخلع القطعة الاخيرة بمنتهى البطء والتناكة والتحنيث والتعذيب لذلك الجَمعِ الجميل المنتظر للخلاص، والمتشوق للحرية، والناظر إلى ما ستكشفه من جسدها نظرة آدم وحواء إلى الفردوس المفقود والموعود؟

****

حرام عليكِ .. لماذا يا عروسَ المستقبل ؟ لماذا البطء والهدوء ؟ لماذا تعذبين الرجال والنساء والأطفال؟ الفقراء والاغنياء والبين بين؟ الحيارى والحزانى والراضين والراضيات بالقسمة والنصيب؟ حسبك يا عروس .. أكملي.. شديه الى الأسفل .. مرة واحدة وحاسمة وخالصة وجازمة وناصبة .. خلصينا .. لماذا تعذبينا؟

حرام عليك يا سيدتي ما تفعلينه بحق الحكام والمحكومين ،، الراشدين والسفهاء،، العقلاء والمجانين ..

لماذا تعذبينا؟ لماذا لماذا؟ ولماذا يصمت الشيخ كما كل شئ في دنيا الله ؟

((١٢٩))

الحلقة ٣٦

بعد سنوات عشر من سقوطها تحت السنابك. في قلب بغداد عاصمة العرب و بوابتها الشرقية وحائط الصد الذي كان في وجه عبدة النيران وعبدة النسوان وعبدة الريح والشمس والقمر.

****

وقف الشيخُ شامخاً وعرقٌ في وجهه بارز وغضبٌ في روحه يغلي. كان الخلق كالمطر شيعةً وسنةً ويزيديةً، بينما الاكراد في ركن ناء يتشاورون في سكون ويتساءلون حبيبتي من تكون؟ .. كان الجمع يتناوشون ويتشاورون حول ما إذا كان يجب أن نقتحم بيتَ الدعارة الواقع في أقصى الميدان لنطرد منه العاهرات اللاتي أغوين كلَ شباب البلدة ونصف رجالها وبعض نسائها. وكانت النساء بالذات متنمرات وغاضبات بعدما فقدن الأزواج الذين اصبحوا شبه مقيمين في الماخور الجميل.

****

وعلا صوت المعلم ((بعلزبول)) ينادي بالتسامح معهن ومواصلة الوعظ لهن، فيما اخذت العمة ((زليخة)) تشيد بنتائج تفريغ الرجال لشحناتهم العاطفية في

البيت اللذيذ منوهةً بآثار ذلك على حسن معاملتهم لزوجاتهم وعيالهم. أما الحاج مبروك فقد نادي بضبط النفس مشدداً على شجب واستنكار الدعارة بوجه عام حتى وإن كان عنصر التوافق متوفراً. ومن جانبها دعت العمة سنية الي تركهن في حالهن مع اجبارهن على حث زبائنهن على استخدام الواقيات الذكرية رغم شحها من المحيط الى الخليج.

****

لماذا ندرت في بلادنا الواقيات ؟

****

ولكن صوت الحق علا وظهر. فقد مضى الشيخ ممتشقاً حسامه ونحن وراءه. وبصراحة كنت سعيداً أن اقتحم وكر النساء الذي كنت أخشى الاقتراب منه خوفاً من تأنيب امي وقلة مصروف يدي. واقتحمنا مع الشيخ كلَ اركان البيت. ولاول مرة افهم ما قاله الصحابي الكبير عن مدينة الإسكندرية حين استعصت عليه أيام الرومان فتوعدها بأن يجعلها كبيت العاهرة يدخله الناس من أي باب. ما كل هذه الأبواب؟! لبيت الدعارة مليون باب وبوابة وفتحة ومدخل .. يا الله ..

****

وتطورت الأمور بسرعة على نحو لم نكن نتخيله. اقتحمنا الغرف. وسحبنا الرجال من فوق النساء والنساء من فوق النساء والرجال من فوق الرجال .. ولاحظت انهن لسن عاريات بالضرورة. فقد كن يرتدين بعض الملابس. كنت أظن أن المسألة ستقف عند ذلك .. ولكن .. ما هذا ؟!

****

وجدنا انفسنا نجمع النساء والرجال والولدان في باحة البيت. وبكل سرعة قيدناهم وقيدناهن من خلاف. ثم بكل وقار القينا عليهم وعليهن البنزين. واشعلنا النار المقدسة .. لأول مرة في حياتي ارى عشرات الجثث الداعرة تحترق .. يا الله .. مشهد مهيب يشبه ما قرأته عن الكفار في جهنم .. والله لم يكن هناك فارق بين رائحة الشواء الحريمي او الرجالي. كنت اعتقد ان هناك فوارق.

****

وعدنا إلى نقطة الصفر ظافرين في بغداد عاصمة العرب والمسلمين التي سقطت مرتين، مرة تحت سنابك الامريكان ومرة تحت دبابات المغول. أسف سقطت بغداد ثلاث مرات ...

الحلقة ٣٧

يُكرَمَ المرءُ أو يُهان في ذاك اليوم العصيب. يتدافع الرجال كيوم الحشر أمام الكوخ الحقير في قلب الصحراء القائظة. مَن سماها مفازة؟ حشود وجماعات من مختلف الالوان والاطوال والأجسام واللغات .. عرب وغجر وزنج وبربر ويهود وأنجلو ساكسون ولاتين وبلاوي زرق.

****

كل الاجناس تقف علي باب الكوخ ،، ويدخل كل منها منفرداً فريداً وحيداً فذاً لا يرتدي إلا قميصاً طويلاً كالجلباب يغطي جسمه إلى ما تحت الركبة. شرعي!

****

وداخل الكوخ تتبغدد قمر الزمان. أحلى امرأة في الدنيا والآخرة. قمر الزمان. شعرها كما أسلاك الذهب الأصفر مائلاً للحُمرة. عيناها عميقتان كما البئر الوحيدة في صحرائنا المجيدة. جِيدُها طويل. شفتاها تغريان بكل شئ واي شئ في اي شئ. أما صدرها وبقية الأعضاء فلا داعي للإسهاب حتى لا نحرج الشباب. قمر الزمان. جميلة الدنيا والآخرة.

****

وكان الشيخ هو القائم على الاختبار. يدخل الرجلُ علي قمر الزمان بقميصه. ويخرج بعد وقت قصير من الباب الثاني للكوخ .. ان كان قميصه قُدَ من قُبُل فالى الصحراء مصيره بلا زاد ولا ماء ولا نساء .. التيه الأبدي ..

****

وإن كان قميصه قُدَ من دُبُرٍ فالي المزرعة المجاورة ليكمل حياته عبداً يزرع ويقلع ،، ينام علي الارض صيفاً وشتاء ،، يأكل القديد والمش وخشاش الارض ،، ويشرب من البئر الوحيدة ،، ويتزوج من احدى اماء المزرعة الغجريات النكديات ،، ويلقي بعياله عبيداً للسيد الكبير. هي الجنة .. فقد فاز إذ خرج من عند قمر الزمان سيدة النساء وقميصه قُدَ من دُبُرٍ!

****

وارتفع اذان العصر مؤذناً ببدء الاختبار .. ودخل الرجال إلى المرأة واحداً واحداً.

****

بدأ الاختبار ببشار. وما هي إلا دقائق معدودات وخرج وقميصه ممزق تماماً من الامام. لم يعد للقميص قُبُل ولا دُبُر. هي قمر الزمان!

((١٣٤))

ودخل حمدان. ولم يخرج. يبدو انها أكلته !

****

ودخل سعيد. وخرج تعيساً بقية العمر. قُدَ من قُبُل

****

ودخل ماجد. قُدَ من قُبُل. محروس. قُدَ من قُبُل. سيف الدين. قُدَ من قُبُل. مرزوق. قُدَ من قُبُل. ايمان. قُدَ من قُبُل. احلام. قُدَ من قُبُل.

****

وبدأت الفوضى تنتشر بعدما لاحظ الشيخ ان النساء بدأت تدخل على المرأة. المرأة تدخل على المراة وتخرج ممزقة الملابس. سميرة. سعيدة. ابتسام. نجلاء. هُيام. قُدَ من قُبُل. قُدَ من قُبُل.قُدَ من قُبُل.قُدَ من قُبُل.قُدَ من قُبُل.قُدَ من قُبُل....

****

الحلقة ٣٨

بعد دهور ودهور من التأجيل والتسويف والدفوع والدفوع المضادة، اجتمعنا في جلسة النطق بالحكم في القاعة الكبرى للمحكمة العليا بالعاصمة بغداد. خلق كثير نساء ورجالا وولدان، عجائز، وشباب، ومعهم العديد من الرجال والنساء يعانون ويعانين بصورة واضحة من أزمة منتصف العمر وعودة المراهقة التي تؤلمهم وتؤلمهن ممثلةً في نظرات الرجال الشاردة وغنوجة النساء البينة. لولا أننا في قاعة محكمة!

****

اجتمعنا اخيراً لننصت للنطق بالحكم في القضية التاريخية القديمة الاصلية الحديثة الجديدة الرهيبة العجيبة الماسخة الممسوخة. مرت سبعة أعوام وخمسة عشر قرناً علي تداول القضية في مختلف درجات التقاضي ابتدائي واستئناف ونقض وإبرام. وما زلنا ننتظر الحكم. آه من العمر الذي ضاع، والزمن الذي ولى في انتظار الحكم وأم الحكم وسنين الحكم !

****

كان الشيخ في الصف الأول، فيما كنت في الصف الخلفي وامامي في الصفوف مباشرة عالم عجيب من البشر بلا لون ولا طعم ولا رائحة يتدافعون ويتناكحون ويأكلون ويشربون في قاعة ليست مُعَدة لذلك وما ينبغي لها.

****

ودخل الحاجب معلناً دخول القاضي وهيئة المستشارين.

****

وسري الصوت المهيب في قاعة المحكمة وخارجها، وفي كل أركان العاصمة العراقية، ومنها إلى العرب في كل ركن من زواياهم الصغيرة.

****

حكمت المحكمة غيابياً برفض الدعوى شكلاً وقبولها موضوعاً. وقضت المحكمة بإجماع الأصوات انكم انكم انكم انكم .....

****

وتوقف القاضي قليلاً ليطرد النساء العابثات والشباب الماجنين.

وعاود نطق الحكم.

****

قضت المحكمة بإجماع الأصوات انكم ما زلتم تتصفون بما وصفكم به الله. انتم خير أمة أُخرِجَت للناس .. بِشَرط أن .. أن .. أن .. أن ..

****

ولم يستكمل القاضي جملته . توقف ..

وأمر حرس المحكمة أن يخلوا القاعة ..

****

الحلقة ٣٩

وأسفل شجرة وارفة تشبه شجر الشام سحراً، رأيت الشيخ بعد بحث طويل .. كنت أظنه هجرني .. كان يجلس مع شاب وسيم ذي شامة وعلامة وطلعة غير بسامة .. كان الشاب يبكي كالنساء الثكالى بحرقة ومرارة أدمت قلبي فيما كان شيخنا مبتسماً علي نحو مستفز ..

****

تحدث الشاب طويلاً عن حبيبته التي كانا يذوبان في بعضهما غراماً وعشقاً .. وأسهب في وصف الحب بينهما من القشرة إلى اللب .. كانا هو وحبيبته - حسب زعمه - يأكلان في طبق واحد و يتحممان في إناء واحد .. وكانت تحلم مبتدأ الحلم وهو خاتمته .. ووصف لنا لحظات البدء والنظرة فالابتسامة فالسلام فالكلام فالموعد فاللقاء فالارتقاء الي سحب السماء فالوهج فالشبق فالوصول فالصعود فالهبوط فالجنون فالغزو فالفتح فالكر فالفر ..

****

وبين أناته ونشيجه وصف لنا غدرها به وتنكرها للحب كما لو أن لم تكن بينها وبينه أشياء! .. وأخذ يسب ويلعن في النساء اللاتي يخرجن آدم على حد قوله من جنة رضوان .. وأكد أن الأرض بدون نساء هي جنة عدنان وان .....

****

وكان قلبي يتقطع من بكاء الشاب الذي يفوق في جماله رشدي أباظة وحسين فهمي فيما كان الشيخ يضحك كما لو أن الأمر مسرحية كوميدية!

****

ثم قاطع الشيخ الشاب القمري بهدوء عندما طفق الشاب يردد "الخيانة امرأة .. الخيانة امرأة" ..

****

ومسح الشاب علي جبهته وهو يقول له: "يا بني ليست الخيانة امرأة ولا رجلاً .. هذه الأمور لا علاقة لها بالخيانة" ..

****

ولما لاحظ دهشتي توجه إلى بالكلام: "المرأة والرجل هما عنصرا الوجود وآلته وسببه .. والعلاقة بينهما قائمة على حرية الاختيار .. لا جبر ولا قهر .. وللرجل حق الخروج من حضن المرأة بالطلاق ولها نفس الحق بالخلع .. لا جبر ولا قهر ولا عيشة مُرة بالعافية .. "

****

واستدار بجسده كله إلى الفتى الباكي وهو يسأله برقة:"أتبكي لأنك تريد أن تعيش مع امرأة لا تريدك؟! .. كان يجب ان تحتفل!"

****

وبعصبية سألته "تلومه على البكاء .. ماذا يجب عليه إذن ان يفعل؟ يذبحها؟"

****

وبهدوء حاسم كحد السيف أجاب الشيخ: "كلا لا يذبحها ولا تذبحه .. لم يخلقكم الله نساء ورجالاً ليذبح بعضكم بعضاً . بل لتملأوا دنياه بالقبلات وما بعدها والبنات والبنين" ..

****

وبغضب صرخ الشاب في وجهه: "وماذا افعل فيها إذن تلك الخائنة الملعونة التي ..... ؟"

****

وقاطعه الشيخ بغضب: "أولاً لا هي خائنة ولا ملعونة .. ثانياً الحل أن تحب وتتزوج امرأة تحبك وتختار أن تبقى معك .. النساء كثير .. انظر حولك "

****

وتدخلت لأهدئ حدة الموقف المتصاعد سائلاً الشيخ: "وماذا تفعل هي؟"

****

رد بعصبية: "سبحان الله .. لا شأن لكما بها .. هي حرة كما النسيم في الجو و الموج في البحر .. هي حرة .. ألا تفهمان؟ .. حرة تحب من تشاء وتعطي قلبها لمن تشاء وتعطي لبذو رحمها اسم الرجل الذي تشاء كما تشاء أينما تشاء .. لا شأن لكما بها ولا شأن لها بكما" ..

****

وتركنا الشيخ وهو يضحك وسمعته يقول وهو يسير: "لا ينام المرء إلا علي الفراش الذي يريحه وبجانب المرء الذي يروق له .. خلق الله الرجل حراً والمرأة حرة .. وكذلك السباع في البرية والطيور في السماء".

****

وكان الشيخ يبتعد عنا في المدى، والفتي الوسيم يعاود البكاء، وأنا لا أفهم شيئاً .. والدنيا رقت أحوالها ..

****

الحلقة ٤٠

ليلة الزفاف. الحلم والكابوس. ليلة العمر حين تمارس المرأة انوثتها لأول مرة بدون خجل ،، والرجل ذكورته بدون تأنيب للضمير .. وآه من الضمير والستات!

****

العريس وسيم كما القمر في ليلة المنتصف. والعروس عادية وشعرها أكرت وكرش واضح من آثار الحمل. ولكنها مبتسمة في وقت اللحظة الحاسمة. وحولهما البنات الثلاث اللاتي أنجباهن قبل الزواج بعشر سنوات!

****

كان الشيخ قد اقنعهما ان يتوبا إلى الله توبةً نصوحاً ويعقدا القران على كتاب الله وسنة رسوله وعلى مذهب الامام ابي حنيفة النعمان.

****

حضر ولي العروس. ابن عمها. فقد قتل ابوها عمها وهلك عمها بينما ابوها حُكِم عليه بالسجن مدى الحياة.

وأعلن الشيخ اركان الزواج: الإيجاب والقبول. قبلت العروس بالعريس. الولي. حاضر يا مولانا. المهر. علبة شكولاتة ماركة جالاكسي. الشهود. الشهود العدول؟

****

اين الشهود العدول؟

****

تقدم موسي البنان. واعترض الحاضرون فكل البلد تعلم انه حرامي وبتاع نسوان.

****

تقدم عيسي الخراط. ولكن نظرات الحاضرين أجبرته على التراجع .. رقيق في زمن الذئاب والعقارب.

****

وتقدم حمادة الكفتجي. ولكن زوجته سحبته من قفاه مؤكدة انه لم يعد ينام في فراشها منذ تسعة أعوام. وأفتى الشيخ بأن الرجل الذي لا يعاشر زوجته ويتركها نهباً للخيالات والضلالات والفتن فهو شاهد غير عدل!

****

اين الشهود العدول؟

****

تقدم العشرات واحداً تلو الآخر ،، ولكن الجرح والتعديل يعيد كلاً منهم إلى نقطة الصفر.

****

اين الشهود العدول ؟

****

وأخيراً تقدمت شهد بائعة الجرجير في سوق الخميس ..

****

وازور الشيخ عنها متضايقاً من جرأتها وهي تؤكد انها ست بمائة رجل.

****

واعترض الرجال على امرأة تشهد على عقد الزواج ،، فثارت وفارت وخلعت لهم الجلباب ،، ووقفت في وسط الفرح بملابسها الداخلية البفتة وهي تلطم وتردح وتسب ،، وتلعن الفقر والجرجير والرجال والزمان والنسوان.

****

قد يجوز الزواج بدون شهود عدول .. والله يجوز!

****

الحلقة ٤١

واقترح الشيخُ أن نزور جبانة المدينة حيث دُفِن أبي وأمي وعبد الناصر وأبو القاسم الشابي والسادات والحبيب بورقيبة ومبارك ونجيب محفوظ ويوسف شاهين رحمة الله عليهم جميعاً. ولم تَرُق لي الفكرة. فالجو الحار والاسعار نار ولا نريد أن نثقل على احد. غير أنه أصر فوافقت علي مَضَض.

****

ودخلنا الجبانة ومنازلها. وكانت الليلة مقمرة والنسمات عسلية حلوة وشواهد القبور جميلة كما مآذن المساجد،،، والدنيا رقت أحوالها.

****

ووجدتهم يتحلقون نافورة صغيرة وسط المقابر ويتسامرون في ود وسلام: ابن خلدون، وأبو الأعلى المودودي، والشيخ الجبرتي ومعه جارية وعبد يصبان له الشاي و يجهزان له النرجيلة، وكارل ماركس غير أنه حلق لحيته الفظيعة، وخالد سعيد، ومارلين مونرو ولكنها ترتدي الحجاب! وكانوا مشغولين في أكل الثريد واستحلاب مشروب عجيب اعتقد انه عرقسوس. ولم تكن مارلين مونرو تستسيغه.

وسمعنا الشيخ الجبرتي يقرأ عليهم"توصيات الاجتماع" قبل أن يعودوا جميعا إلى قبورهم بعد انتهاء الفسحة.

****

ولم تعلق بأذني - انا او الشيخ - سوي الجملة الاخيرة من توصيات الموتي:

"ما كان ينبغي أن نتركهم وهم لا يفهمون معنى العدل والـ ...."

****

ولم نسمع الكلمة الاخيرة جيداً .. ربما الحرية ..

****

الحلقة ٤٢

واقترح الشيخُ أن نزور جبانة المدينة حيث دُفِن أبي وأمي وعبد الناصر وأبو القاسم الشابي والسادات والحبيب بورقيبة ومبارك ونجيب محفوظ ويوسف شاهين رحمة الله عليهم جميعاً. ولم تَرُق لي الفكرة. فالجو الحار والاسعار نار ولا نريد أن نثقل على احد. غير أنه أصر فوافقت علي مَضَض.

****

ودخلنا الجبانة ومنازلها. وكانت الليلة مقمرة والنسمات عسلية حلوة وشواهد القبور جميلة كما مآذن المساجد،،، والدنيا رقت أحوالها.

****

ووجدتهم يتحلقون نافورة صغيرة وسط المقابر ويتسامرون في ود وسلام: ابن خلدون، وأبو الأعلى المودودي، والشيخ الجبرتي ومعه جارية وعبد يصبان له الشاي و يجهزان له النرجيلة، وكارل ماركس غير أنه حلق لحيته الفظيعة، وخالد سعيد، ومارلين مونرو ولكنها ترتدي الحجاب! وكانوا مشغولين في أكل الثريد واستحلاب مشروب عجيب اعتقد انه عرقسوس. ولم تكن مارلين مونرو تستسيغه.

وسمعنا الشيخ الجبرتي يقرأ عليهم"توصيات الاجتماع" قبل أن يعودوا جميعا إلى قبورهم بعد انتهاء الفسحة.

****

ولم تعلق بأذني - انا او الشيخ - سوي الجملة الاخيرة من توصيات الموتي:

"ما كان ينبغي أن نتركهم وهم لا يفهمون معنى العدل والـ ...."

****

ولم نسمع الكلمة الاخيرة جيداً .. ربما الحرية ..

****

الحلقة ٤٣

جماعات جماعات من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال والرضع .. كل جماعة تتحلق سيدة عجوز .. هي تنوح وهم يبكون ويلطمون الخدود وراءها بطريقة جميلة رقيقة منظمة تثير الاحترام والتبجيل .. حزن جماعي نبيل علي شئ ما .. وكل جماعة تتألف من خمسة أو ستة افراد .. ويفصل كل منها عن الأخرى حوض أسماك للزينة .. وتتراص الجماعات الباكية في نظام بديع متفرد يعكس جماليات النواح وهندسة الولولة في دنيا الله ..

****

ولما حان وقت الغداء قامت كل جماعة بمد السماط عامراً بما لذ وطاب .. والعجيب أن النائحات المستأجرات في كل جماعة ذهبن إلى غير رجعة .. وحلت محل كل منهن راقصة شرقية فاتنة في غداء موسيقي ساحر ينسيك هموم الماضي وعمل الحاضر وآمال المستقبل ..

ولما تنتهي كل جماعة من تناول الغداء علي انغام الموسيقي وهز البطن ينام الرجال مع النساء علي الملأ في منظومة جنس جماعي علني عجيب في حضرة الأطفال والرضع والخدم والقطط ..

وكنت اتابع الملحمة العجيبة برأس ثقيل ودوار قوي قبل أن يأتي الشيخ ويسحبني من ذراعي كالأعمى ويمر من فوق أجساد الرجال والنساء المتناكحة وسط آهاتهم وأناتهن ..

ويشدني الشيخ والدنيا تلف وتدور في عيني .. ويمضي بي إلى بركة ماء فضية ليست عن الصخب والصاخبين بعيدة ..

****

وأمرني الشيخ أن أفعل مثله قائلاً:

يا ولدي أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ..

****

ولكني فقدت الوعي وأغمي علي وسقط جسمي كله في المسبح .. واستسلمت لما يشبه الموت اللذيذ بين الامواج الهادئة للمياه المقدسة وأنا أرى الشيخ يمضي بعيداً بعيدً بعيدً ..

****

الحلقة ٤٤

وركبنا انا والشيخ وخلق كثير عائدين من حفل العرس الذي فسد لما بان حمل العروس في بطنها المنتفخة، فاندلعت خناقة وهرب العريس. ومضينا لنحضر جنازة الطفل الذي كان ينفق على امه واخوانه بعدما أغوت راقصة القرية أباه.

يا الله ! ألم يجد قطاع الطريق سوي (بسام) ليقتلوه طمعا في قروشه القليلة؟! .. وكنت اسخر بسوداوية من غباء اللصوص والشيخ يأمرني ان اجهز الزاد للمعاد والسفر الطويل.

ومضينا نحمل جثمان بسام علي اكتافنا. أمانة نسلمها للأرض. وحفرنا القبر ووضعنا بسام. وخرج الشيخ وعليه الغبار. وتكاسلت عن الخروج. وسألتهم أن يتركوني مع بسام ..

****

"تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد" .. كنت أردد بعد أن أهالوا التراب علي بسام ميتاً وانا حي، قبل أن أستبين أن لا فرق بين موت وحياة، وان بسام يقوم ويعد لي الطعام والحكمة وفصل الخطاب.

****

وكيف لا اذكر وانا في اللحد من أربعين عاماً عشتها في الدنيا سوى دمعة ساخنة طاهرة ذرفتها يوما في دنيا الله، لا خوفا من الله فحسب، بل حباً لله ولعباد الله وإماء الله في دنيا الله ..

يرحمك الله يا بسام الطفل الفقير الذي سرقه اللصوص الأغبياء طمعاً في قروشه القليلة ثم قتلوه .. وقتلونا!

****

وفجأة اختفى كل شئ في قبر بسام. حتى جثمان بسام اختفى.

ورأيت حبيبي وقرة عيني صلاح .. يعانقني ويقبلني في وجنتي.

وهمس صلاح بجلال الموت: "ألا تذكر ما قلته لك انت ومن خانوا من بعدي، انت والشاعر الذي قتلني بكلمة يوم عيد ميلاد ابنتي، ألا تذكر كلماتي يا حبيبي؟"

****

قلت ذكرني يا قرة العين. فهمس وهو يبكي:

"حين فقدنا الضحكا

((١٥٥))

تفجرت عيوننا بكا

حين فقدنا هدأة الجنب

على فراش الرضا الرحب

نام على الوسائد

شيطان بغيض فاسد

معانقى، شريك مضجعى

كأنما.. قرونه على يدى"

وأمرني صلاح: " اخرج يا بني واترك بسام معي".

****

وأوصاني ان احمل الرسالة للرجال والنساء. وخرجت من القبر لأجد الشيخ ومعه قرطاس من الطعمية وبعض الارغفة الجافة .. ومضينا الى المدينة والشمس تميل للغروب.

****

الحلقة ٤٥

الصوم والحر والحزن والسأم ..

كنا جالسين انا والشيخ علي الطبلية بانتظار أذان المغرب .. وكان حاكم البلدة قد مات من شهور ولا توجد حكومة ولا قانون ولا دياولو. والناس ينهبون بيوت بعض،، والجار يعاشر حليلة جاره بقدح من الارز او كأس من البوظة .. وأُغلقت المدارس والكنائس والمساجد والمكتبات. ولم يعد من علامات الحضارة سوى أن الناس في اليوم الأول من رمضان صاموا جميعاً .. حتى المسيحيين !

****

وتحلق الخلق معنا على الطبلية انا والشيخ في أول يوم من رمضان، وامامنا الفول والعدس ولحوم الحُمُر الاهلية مع الثريد. وكنا جميعا بانتظار آذان المغرب لنروي عطش العمر وشهوة البطن والفرج.

****

وبدأت النساء في التململ والعيال في الصراخ والرجال في التجشؤ .. متى الأذان؟

لم يعد هناك شمس. هل مات المؤذن؟ وحاول أحد المسيحيين ان يقنع الشيخ بأن يؤذن لنا .. وهددت امرأة بأنها سوف تعاشر زوجها علناً فهو حقها الشرعي إذ حان موعد المغرب .

****

وتعالت الأصوات صراخا وانتظارًا لصوت للمؤذن .. الله اكبر .. كلمتان اشتاق لهما الخلق ..

****

ومضى الشيخ يبحث عن مؤذن .. وتركني على المائدة ومعي خلق كثير مسلمون وتتر وافغان ومسيحيون وبعض اليهود وعدد من الشيعة ننتظر الأذان .. ننتظر الله اكبر ..

****

الحلقة ٤٦

كانت الحافلةُ المكتظة تتهادى فوق الطريقِ الملتوي التواء البشر وبعض الأفاعي . والجوُ خانق والهواء شحيح كما الحب، بينما الشيخ رائق وصافٍ، وكلامه يخرج شفيفاً عن الَوجَد. وكنت انام واصحو مللاً من الحديث، فأنا لا استسيغ الحكاوي المضحكة عن الشاطر حسن وبنت السلطان بعدما علمتني الايامُ وبعضُ الليالي أن المراة تبدأ كينونتها فيما بين ساقيها وتنتهي مهمتها المقدسة لما يفرغ رحمُها ما في جوفه. فأنى لي أن أنصت لحديث الشيخ عن الحب والوصال؟!

****

وغطستُ في نعاسٍ ما بين النوم واليقظة فيما كان الشيخُ يردد مقولةَ الفاروق بان القلوب إذا صفت رأت بنور الله .. وتساءلت غامزاً بعيني أين نورُ الله ؟ فلم أر طيلة عشرين عاماً في دنيا الله سوي ظلماتٍ فوقها ظلمات. اين نور الله ؟ يا شيخي الطيب. هل عاينتَ ما شاهدته انا يوم رأيتُ بعيني كبيرَ أعيان البلدة يركب علي اخت زوجته ليلة عرسه من أختها بينما في الصباح يخطب الجمعة في الناس عن الود والوفاء. يا شيخي الطيب. اين تعيش وعمَ تحدثنا؟ دعني أنام.

وخاطب الشيخ الفتاةَ البضة التي كانت وسط الزحام الخانق تستند بفخذها السمين علي فخذي في متعة لا الجنة تساويها ولا النار. قال وهو يترفع عن النظر اليها: " يا بنتي. الحبُ للزوج والابن والبنت كما الحب للناس الاغراب. فالحب يا بنتي جوهره واحد. كما الله واحد لا شريك له". وتمايلت البنتُ طرباً من قداسة كلمات الشيخ وفخذُها الطري يتمايل معها ومعي والحبُ غلاب.

****

ومضى الشيخ يرهبنا من النار وجحيمها، وكيف يغمسُ اللهُ الواحدُ القهار في صهدها كلَ الجبابرة الذين اعتدوا على حرمات الغير وعاشروا نسوان الغير واغتصبوا ممتلكات الغير ووووووو واستباحوا دماء العباد في طرقات المدن، وذلك قبل أن يطهرهم اللهُ في سَقَر ثم يخرجهم منها كما ولدتهم أمهاتهم.

****

وكنت أتساءل وانا نعسان وفخذ الفتاة يدهسني يؤلمني: "وماذا عمن حرقوا العشَ والقشَ والسنبلة؟ عمن سمموا الآبار وهَجَروا العيال وبقروا بطون الحوامل وعلموا الاطفال معنى اليتم والنساء الثكل ؟ هل ثمة تطهير لتلك الآثام؟ وهل سيعودون كما ولدتهم امهاتهم؟ وهل حقاً كان لهم مثلنا أمهاتٌ وأباء؟ هل هم بشر؟ وهل البشر أرقى أم الخنافس؟

واقتربت الحافلة من نهاية الطريق .. وحققت الفتاةُ الملتصقة بي مرادَها ومرادَ النساءِ من الرجال، والشيخ يحدثنا ترغيباً عن الجنةِ ونعيمها، وحورِ العين وحلاوتهن، وكيف ان رموشَ الواحدة منهن احلي من نساء الدنيا بما فيهن الإيطاليات، والمراة منهن – يقول الشيخ – لا تحيض ولا تنفث ولا تعرف النكد ولا الغيرة وتوقظك كلَ يوم بوردة حمراء وقبلة بيضاء ! وتململت و فاض بي الكيل.

****

وصرخت في الشيخ: " يا أبي. هل هناك سوف نرى الله؟ هل سنرى الله؟"

****

واخذني الشيخ بجانبه ساحباً جسدي بعيدًا عن فخذ الفتاة الملتصق وهو يقول: نعم .. نعم .. نعم .. عياناً .. عياناً .. وماذا ستفعل يا بني لما تراه؟

****

واحتضنني الشيخ وانا اقول: لما أرى الله .. سوف ابكي في حضرة الله ..

سوف ابكي في حضرة الله ..

الحلقة ٤٧

وجئنا جميعاً حسب الموعد المضروب منذ قرون. حَسَب الميعاد يا حبيبي !

****

جلس الفقراء على الجانب الأيسر من الساحة، فيما جلس الأثرياء والحكام الأشاوس والأميرات القمرات في الجانب الأيمن. وجلس الشيخ ومعه مريدوه وانا بين الفريقين. شكله يوم أسود !

****

وكان علينا أن نأخذ الامر بقوة حسماً للجدل المثير للغثيان الدائر منذ آلاف السنين بشأن هل الارضُ لمن يملكُها ام لمن يزرعُها؟ هل الخيرُ الذي يخرجه المصنعُ عائدٌ إلى صاحب المصنع والمستثمر الذي جازف برأس ماله وشقا عمره، أم الى العمال الذين بذلوا وقتهم وجهدهم وصحتهم علي الآلات في العنابر؟ وما هو مفهوم العمل نفسه والمال نفسه؟ ولو سوينا بين الناس ألا نكون قد خرقنا قوانين الكون في التفاضل بين الرجال والتكامل بين النساء؟! أليست النساءُ مثلاً احداهن جميلة كما القمر والاخري تشبه اسماعيل ياسين؟ كيف نغير قوانينَ الكون وسنن الحياة ؟ وهل هي فعلاً قوانين وسنن؟ .. وطبعاً

كان رجالُ الأمن والعسس يحجزون ما بين الجانبين حتى يسود السلام والوئام والحب والإخاء.

****

والحق لم أفهم كثيراً مما قيل من مثقفي الفريقين. سمعتهم يستشهدون بأسماء منها المألوف وبعضها غريب: الفاروق عمر، آدم سميث، كارل ماركس، ابن خلدون، احمد عدوية، هيجل، تحية كاريوكا، إيريش فروم، أبو ذر الغفاري، عمر بن عبد العزيز، يسوع المسيح، القرامطة، محمد رسول الاسلام، برتراند راسل ..... الخ الخ .. سيل من الأسماء والمسميات، والنظريات والنظريات المضادة، و الحجج والحجج المضادة هتف بها الجانبان، بينما الشيخ يسمع ويرد ويحاور ويجتهد أن يفصل ما بين المتقاتلين لفظاً، فيما الشرطة تمنع من يحاول الاعتداء علي خصمه وتخرجه من الساحة سحلاً إن كان من أهل اليسار.

****

ولم افهم شيئاً ودارت بي الدنيا .. ومِلت علي الشيخ، وكان صامتاً والكل يصرخ، وسألته: يا شيخي الطيب. لِمَن هذه الارض؟ قال لله ..

****

قلت ولِمَ امتلكها البعضُ دون البعض؟ قال الجهدُ البشري ، والظلمُ البشري، وفسادُ بني الإنسان، وغلبةُ الجيوش على الجيوش ووووو ..

****

ولاني لم استوعب شيئاً قاطعته سائلاً: وما الحل يا ابي؟ ان الفريقين سوف يقتلون بعضهم بعضاً حتماً، فقد لاحظت انسحابَ الشرطة من الميدان؟ ما الخلاص يا أبي؟ لِمَن الارضُ والملكوت؟ .. لِمَن الارضُ والملكوت؟

****

وأطرق الشيخ قليلاً .. ثم رد بهدوء قاتل بارد كسم العقرب في صحراء العرب: أما الارضُ فهي لله يورثها لمن يشاءُ يومَ القيامة. وفي الدنيا يأخذها أولو العزم وأولو القوة والنساء ذوات الفتنة وأصحاب الملك والكهنوت والجبروت ..

ومضى الشيخ يتمتم والميدان صار ساحة قتال وفوضى: ولكن الملكوت لصاحب الملكوت .. فقط لصاحب الملكوت ..

****

وخرج الجمعُ عن السيطرة .. ولم أعد أفرق بين ليلى وبين مَيسَرة !

الحلقة ٤٨

مفترشين أرضاً خالية من الزرع والضرع، ممتدة بطول النظر كنت أنا والشيخ وبعض الأشباح .. ربما بشر نسوان ورجال وربما عفاريت .. لا أذكر .. ولكن أميل إلى أنهم بشر اذ كانت فيهن أنثي تولول، والنكد مهنة نساء البشر والعرب بالأخص ..

****

وكان الخلقُ حولنا يشكلون خلفية أرابيسك متباعدةً رجالاً ونساء .. ولا عيال .. أين تخلصنا من الجيل الجديد؟ .. وكانت بطون النساء كلها منتفخة عسرَ هضمٍ لا حَمل .. والحر شديد والدنيا صيف والكل صائم عن الطعام والشراب والكلام والنكاح وبقية المُتَع ..

****

وكان معي وردة ، وآلة حادة (ما بين الجاروف والسكين والشاكوش) .. ومشغولاً كنت أحفر بها الأرض .. عُمق الأرض .. والصمت يعمنا والنَّاسُ خلف المشهد ينتظرون غيثاً لا من الله فقد انقطعت صلتهم به .. الا بعض الشعائر

المقدسة.. والوردة في جيب قميصي الأسود ولا اذكر من أعطانيها .. أحفُر وأحفُر وأحفُر ..

****

وعلق الشيخ باقتضاب:

"لن تصل الى شئ .. مُحال"

****

وأضاف يقول:

"لا عمق للاشياء .. مشكلتك ان عشت عمرك تنقب عن المعنى .. عبثاً ضيعته .. لا معنى لتفاهة التافهين، وسلبية السلبيين، ونكد الستات، وخيانة الرجال، وميل الناس في بلادنا للعبودية، وعزوفهم عن التفكر والتدبر، وكراهيتهم لتحمل مسؤولية حياتهم التي يعيشونها مرة واحدة!"

****

ومضى الشيخ يقول وكلماته كالملح علي جروحي وجروح الدنيا:

"لا عمق للاشياء .. أنِخ دابتك يا ولدي .. أرحها من كثرة الترحال بين صفحات الكتب واحضان النساء وميادين المدن وأفنية الأوطان .. لا عمق الأشياء".

****

كنت أبكي بدون دموع ولا نشيج وأنا أسأله، والكون يردد معي مقولة صلاح:

"لا عمق للألم ؟!"

****

ونظرت خلفي وحولي فوجدت الكل يبكي .. حتى النساء المنتفخات البطون عسرَ هضمٍ لا حَمل .. كُن يبكين.

****

لا عمق للألم ؟! .. لا عمق للألم ؟! " ..

****

الحلقة ٤٩

تحت جنح الظلام خرجنا متلصصين كما اللصوص والعشاق.

****

الشيخ وأنا وأم الابن وأبيه وأخته الصغرى . كنا نتسلل مرعوبين متوارين في الحواري والأزقة حتى لا يرانا احدٌ في الطريق الى جبانة الوطن لندفن ما تبقى من جثمان الشاب الذي اغتصب ابنة العمدة.

****

ولم يكن متبقياً بالكفن على أكتافنا سوى قطعة من لحم وجهه، ربما خده الأيسر، وعظمة من قدمه اليسرى وبعض احشائه. فقد رفض أهل المدينة بالامس ان ينتظروا حتى يُنَفَذَ حكمُ الإعدام الصادر بحقه رسمياً في سجن المدينة وقاموا باختطاف الشاب من محبسه وقطعوه بكل سكاكين المدينة وتسلوا بمضغ لحمه علناً في ميدان "الساعة" الشهير انتقاماً من فعلته الشنعاء.

****

وساءلت الشيخُ همساً ونحن نتعثر بالكفن الأبيض وسط الحفر كيف نغامر بحياتنا في دفن جثمان ذلك المُغتَصِب؟ ولِمَ الدفنُ أصلاً ولم يتبق من جثمانه بعدما أكله الناسُ شيئا؟ واهتز الشيخُ كما لو أن عقرباً لدغه وهو يرد سؤالي بأسئلة كثيرة تخرج من فمه كالمطر: "هل حضرت له محاكمةً؟ مَن أدراك أنه اغتصبها؟ هل شاهدت بعينك أدلة نفي أو أدلة أثبات؟ هل سمعت اعترافاً من الفتى أو اقراراً من الفتاة؟ حتى لو كان، فهل عاشرها برضاها أم كشفتَ أنت بنفسك على جسدها المقدس لتتأكد انها اغتُصِبَت ام ما زالت بكراً كما مريم العذراء؟ وهل ....؟".

****

وانقطع سيلُ الاسئلة لما وقع الشيخُ معي ومعنا أرضاً تحت ضربات الاهالي الذين يبدو أنهم كانوا منتظرين لنا في المقابر. ضربات ماحقة بالأيدي والعصي على أجسادنا، فيما كانت النساء تبولُ علينا احتقاراً والاطفال. واختطفوا الكفن وأخرجوا ما تبقى من جثة الشاب. بعضاً من اللحم والعظم. وقسموه بينهم بالعدل والقسطاس.

****

وطفق الشيخُ يتحشرج والدم ينزف من أنفه وفمه وهو يصرخ فيهم وفي الدنيا: "ادرءوا الحدود بالشبهات .. برئ هو الانسان حتى تأتوا بالبينة.. ادرأوا الحدود بالشبهات .. الدمُ حرام كما العِرض وكما الارض .. ادرءوا الحدود بالشبهات ....."

****

الحلقة ٥٠

"وخشعت الاصواتُ للرحمن فلا تسمعُ إلا همسا"

****

كان الأوان قد آن .. ذهب الجميعُ، كلٌ الى مآله ولم يبق الا هو .. وحده متحكم مسيطر مهيمن ..

****

ولكن ما معنى الحكاية من اولها لآخرها؟

****

لماذا الوجود ثم الصواب والخطأ ثم العدم ثم الوجود الاخير .. النعيم والعذاب ..

****

ولماذا العذاب؟ هل كنا حقاً أحراراً في ممارسة الصواب واقتراف الخطأ؟ هل كان القرار بايدينا؟

****

هل كانت "دعاء" تستطيع الا تخون زوجها" سيد" مع المكوجى "عبد العال"؟ كان عبد العال أوسم وأكرم وأطول .. وكان عفياً فارساً ومكوجياً شاطراً مع الملابس والنساء.. هل كانت دعاء تستطيع أن تقاوم غواية شفتيه المنيلتين بنيلة؟! .. هل كنا حقاً أحراراً في اتخاذ القرار؟

****

وهل كان ثمة أصلاً قرار؟ .. كيف يمكن أن نطلق عليه "قراراً" وهو – وكلُ شئٍ – يُملى علينا بكرةً وأصيلا!

****

البطون الجوعى لا تستطيع إلا السعي وراء ملئها .. وشبقُ الرجال تجاه النساء وشبقُ النساء تجاه الرجال .. هل كان يلتفت للحلال والحرام؟ .. مَن يستطيع ان يقاوم غوايةَ امرأةٍ سمينة الارداف من الرجال؟ ومَن من النساء يمكنها مقاومة سحر عيون وشوارب رشدى اباظة؟ .. كانت فوضى .. فهل كنا احرار؟ ..

****

والمالُ .. وفتنة المال .. وجمعه وكنزه .. والقتلُ في سبيله للاخ والاخت الجار والجارة .. من كان في جعبته أن يعطيَ ظهره للدرهم والدينار .. هل كنا حقاً احرار؟

****

والسلطة والسطوة؟ ان امسك برقبتك لئلا تخنق رقبتي وتخنقني وتغتصب زوجتي وبناتي وتستعبد اولادي .. فان تمكنت منك اقومُ انا بالواجب .. اغتصب عبلة واستعبد عنترة العبسي .. كنا في دائرة إما أن تكون عبداً او سيداً .. فهل كنا احرار؟

****

وخرج الشيخُ من بين الغمام وهمس لي برقة الأب وحنان الحبيب:

"كفاك اسئلة يا بني .. ليس زمنها ولا مكانها .. جاء دورك أمام الميزان يا ولدي .. حسبك .. فالميزان القسط .. الميزان العدل .." ..

****

وبكيتُ والدموعُ تنهمر انهاراً انهاراً .. انهاراً انهاراً .. ما كان يجب أن يحدث ذلك .. لماذا كنا اشرار؟ .. وهل كان من الممكن أن نكون غير ذلك؟ .. ما كان ينبغي أن يكون ذلك .. الجوع والمرض والفقر وخيانة النساء للرجال والرجال للنساء والغدر والقتل والذبح والتمثيل بالجثث .. ما كان ينبغي أن يكون ذلك .. انهاراً انهمرت دموعي انهاراَ أنهارا .. تجري من فوقها ومن تحتها الانهار .. انهار البراءة والطهارة ..

وضحك الشيخ وهو يخبرني بأنني عدتُ طفلاً بريئاً يسبح في نهر الدموع ..

ومضي يقول "كفاك يا ولدي .. تقدم بشرف ونبل .. انت امام المحكمة الوحيدة العادلة في دنيا الله وآخرته .. لا تخف يا بن امي .. تقدم .. تقدم .."

****

اين امي؟ .. وابي. .. وزوجتي؟ .. وعيالي؟ .. وعشيقاتي؟ .. اين اعدائي واحبائي؟ .. اين ماركس وهيجل وعمر بن الخطاب وعبد الناصر وفيفي عبده؟ .. اين الناس؟ اين الدنيا؟ اين انت يا .... ؟؟؟؟

"وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا"

****

الفهرس

م	إسم الحلقة	رقم الصفحة
١	الحلقة الأولى	٢
٢	الحلقة الثانية	٤
٣	الحلقة الثالثة	٧
٤	الحلقة الرابعة	٩
٥	الحلقة الخامسة	١٢
٦	الحلقة السادسة	٢٠
٧	الحلقة السابعة	٢٤
٨	الحلقة الثامنة	٢٧
٩	الحلقة التاسعة	٣٣
١٠	الحلقة العاشرة	٣٧
١١	الحلقة الحادية عشر	٤٦
١٢	الحلقة الثانية عشر	٤٩
١٣	الحلقة الثالثة عشر	٥٢

١٤	الحلقة الرابعة عشر	٥٨
١٥	الحلقة الخامسة عشر	٦١
١٦	الحلقة السادسة عشر	٦٧
١٧	الحلقة السابعة عشر	٧٠
١٨	الحلقة الثامنة عشر	٧٤
١٩	الحلقة التاسعة عشر	٧٧
٢٠	الحلقة العشرون	٨٠
٢١	الحلقة الحادية والعشرون	٨٣
٢٢	الحلقة الثانية والعشرون	٨٥
٢٣	الحلقة الثالثة والعشرون	٨٧
٢٤	الحلقة الرابعة والعشرون	٩١
٢٥	الحلقة الخامسة والعشرون	٩٤
٢٦	الحلقة السادسة والعشرون	٩٦
٢٧	الحلقة السابعة والعشرون	٩٨
٢٨	الحلقة الثامنة والعشرون	١٠١
٢٩	الحلقة التاسعة والعشرون	١٠٤

٣٠	الحلقة الثلاثون	١٠٧
٣١	الحلقة الحادية والثلاثون	١١٠
٣٢	الحلقة الثانية والثلاثون	١١٤
٣٣	الحلقة الثالثة والثلاثون	١١٦
٣٤	الحلقة الرابعة والثلاثون	١٢١
٣٥	الحلقة الخامسة والثلاثون	١٢٥
٣٦	الحلقة السادسة والثلاثون	١٣٠
٣٧	الحلقة السابعة والثلاثون	١٣٣
٣٨	الحلقة الثامنة والثلاثون	١٣٦
٣٩	الحلقة التاسعة والثلاثون	١٣٩
٤٠	الحلقة الاربعون	١٤٤
٤١	الحلقة الحادية والاربعون	١٤٨
٤٢	الحلقة الثانية والاربعون	١٥٠
٤٣	الحلقة الثالثة والاربعون	١٥٢
٤٤	الحلقة الرابعة والاربعون	١٥٤
٤٥	الحلقة الخامسة والاربعون	١٥٧

٤٦	الحلقة السادسة الاربعون	١٥٩
٤٧	الحلقة السابعة الاربعون	١٦٢
٤٨	الحلقة الثامنة الاربعون	١٦٥
٤٩	الحلقة التاسعة الاربعون	١٦٨
٥٠	الحلقة الخمسون	١٧١